رواية

بحر الذهب

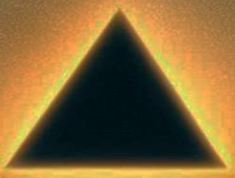

مثلث فورموزا

أندرو أنور

كتوباتي
kotobati

بحر الذهب

مثلث فورموزا

الجزء الأول

أندرو أنور

رواية

الكتاب: بحر الذهب. . مثلث فورموزا

تأليف: أندرو أنور

النوعية: رواية

الإصدار: 2024

التصميم والتنسيق: مكتبة كتوباتي

النشر الإلكتروني: مكتبة كتوباتي

support@kotobati.com

www.kotobati.com

كل الأفكار المذكورة في الكتاب لا تعبر عن مكتبة كتوباتي.

وكل الحقوق محفوظة لدى المؤلف.

الفهرس

الفهرس 3
إهداء 4
المقدمة 5
الفصل الأول 6
الفصل الثاني 15
الفصل الثالث 27
الفصل الرابع 39
الفصل الخامس 51
الفصل السادس 65
الفصل السابع 79
الفصل الثامن 90
الفصل التاسع 104
الفصل العاشر 121
الفصل الحادي عشر والأخير 136

إهداء

إلى

عائلتي وكل من يعتبرني صديقاً وأخاً له

المقدمة

تعرفت على أحد الناس الغرباء. .،اعتقدتُ أنه في البداية مجرد مجنون حتى تقربتُ منه أكثر ووجدتُ في قصته بعض الأشياء المذهلة. .أسمه شحتة، شحته علام. .الرجل الذي عاند القدر وحاربه دون خوف قبل أن يرضخ له في نهاية الأمر.

العديد من المغامرات الخيالية مع العديد من الشخصيات صاحبة الظروف المختلفة وبرغم من اختلافهم الشديد إلا أنهم جميعاً اتفقوا علي شيئاً واحد وهو تصديق قصة صديقهم شحتة.

لا أريد حرق المفاجأة ولكن لن نسير في عالم شحتة فقط بل أن عالمه ليس إلا تمهيد لما هو قادم من أحداث مشوقة، أحداث رهيبة لن تخطر علي بالك أبداً.

سأترك شحتة يروي هذه المرة قصته بنفسه ولن تجديني إلا قليلاً أسرد برفقته.

أراك عند النهاية..

الفصل الأول

"لعبة القدر"

"عندما يشاء القدرفعل شيئاً ما..،يفعله غيرواضعاً حالة الشخص نفسه "

شحتة علام هذا هو اسمي. .،إذا لم تخني ذاكرتي عندما أخبرتني عمتي أن زوجها هو من أطلق عليّ هذا الاسم حباً في جده الذي توفي قبل مولدي بأسبوع. .، لهذا قرر أن يدعوني بـ"شحتة"، أما علام هو اسم والدي..والذي معه تبدأ قصتي التي أعلم أنك لن تصدق ولا كلمةً واحدة فيها..،لا تخف فأنا أعذرك..، علام الذي لم أراه أبدا ومن المرجح أن لا أراه من الأساس فهو نوعاً ما قد مات، والآن جدي المجنون والد أبي لا يريد الاعتراف بموته ويقول أحيانا بنبرة العجائز الغريبة والعصبية رامقاً إياي بنظرة تجعلني أقشعر:

- انهُ قد ذهب فقط للبحث عن السفينة التي اشتراها منذ زمن وليست إلا مسالة وقت ويرجع. .

***

ذلك الجد الخرف الأشيب المسن، كم أكره حقاً. .اشكر عمتي التي رفضت أن يرعاني هو بدلاً عنها،كيف استطيع أن أعيش مع مجنون مثله يردد في اغلب الوقت وبالتحديد عندما يراني امامه..:

- "سوف اذهب في احد الأيام لأجد السفينة التي فقدنها أيها الطفل "

في كل مرة اذهب لزيارته مع عمتي.. يقول هذا مع بعض الأشياء الأخرى..،نذهب مرتين في الشهر لنتأكد من مخزون طعامه ونظافة المنزل وإذا احتاج شيء نحضره له. .لم تكن لعمتي أبناء لأعرف السبب بالتحديد ولكن سمعت أن لزوجها لديه مشكلة ما. .أظن أن هذا سبب حبها لي هي وزوجها. . وأيضا هو الذي لم أري منه إلا كل خير وحب وكأنهُ كوالدي تماماً . .كانت عمتي معلمة للغة العربية..، لم تكن تتكلم إلا بلغة العربية القديمة هذه، كانت تملك مبدأ وأظن أنها نجحت في نقله لي أيضا، رغم انه من النادر أن تجد معلماً عربياً يشرح بالغة الفصحى في المدرسة التي هي نادرة في أيامنا هذه..نحن في عصر الذكاء الاصطناعي تباً للنظام القديم.

كنتُ سعيداً أنها تتفرغ لي لتعلمني رغم مواظبتي للذهاب للمدرسة. .ولكن عن حق كنت أتعلم منها أكثر من مما أتعلمه في المدرسة، كانت حياتي رائعة بنسبة لفتي في الثامنة من عمرة لا يعرف حتى اسم والدتهُ، وأيضا غير عالم بهوية أباه وبجانب الغموض حول حقيقة موته.

كل هذا، ولكن لم أبالي أبدا..، فقط أسئلة بين الحين والأخر لعمتي اخبرها ليلاً عندما نشاهد الأفلام أو أثناء شرحها لي أو في طريقنا للرجوع من النادي.

أتذكر أن في احد المرات أني وجهت لها سؤالاً قائلاً:

-عمتي كلثوم، ما اسم والدتي ؟!

كانت تحاول المراوغة أكثر من مرة ولكن كنت املك العزيمة للمعرفة. .فكانت ترد عليّ بصراخ الأم هذا وكأنه صوتها الطبيعي:

-لا أتذكر يا شحتو، لما لا تسأل جدك عندما نزوره غداً ؟!

كان هذا الرد وحدة مراوغة منها، فهي تعرف أني لم اتجرا واسأل جدي المجنون هذه شيئاً أبدا، أنا حتى لا اعرف إذا كان يعرف من أكون في الأصل، وإذا سألتها مرة أخرى تصرخ في وبعدها بلحظات تأتي لطربت علي رأسي وتعتذر لي قائله:

-أسفه يا شحتو، كنت متعبة من العمل اليوم. .

لم ابكي، لا أتذكر إذا بكيت في احد الأيام من الأساس فأنا من النوع التي لا تقوده مشاعره أبدا. .لدي شيء مثل اللجام ألفهُ حول مشاعري حتى لا تسيطر عليّ.

كانت عمتي عادتاً بعد صراخها فيّ تأتي وتعتذر لي. .،تأخذني لشراء بعض الإغراض ، تأخذني لكي اركض ليلاً. .تتركني أحيانا العب مع الكلاب التي

تعرفني في المنطقة، فأنا في كل يوم بعد عودتي من المدرسة أعطيهم باقي غذائي الذي انسي أن أكله في اغلب الأيام.

كانت هذه حياتي المعتادة مع عمتي، أما عن حياتي مع زوجها فهي ليست بشيء الذي يذكر. .نحن أصدقاء اخبرني أكثر من مرة أن أناديه باسمة وليس ب"زوج عمتي" أو عمي.."تامر" كان يريد أن أناديه باسمه فقط..كنت ارفض هذا وأناديه بما انا معتاداً عليه وهو "يا عمي"، وأيضا كان معلماً للرياضيات التي اعشقها بكل معني الكلمة. .ولكن بصدق كان سيء، أنا حتى إذا ما توقف معي شيء في واجباتي المتعلقة برياضيات لم اذهب إليه. .لا اعرف كيف حصل علي شهادته حتى، ولكن وبرغم من كل هذا.. كنت أحبه لقد اعتني بي منذ الصغر وسماني بهذا الاسم المضحك الذي بسببه تعرضت للكثير من التنمر ولكن الاسم تقريباً حتى أكون صادقاً ومميز أو ليس الأمر متعلق بالاسم فقط كذلك بل فيّ أنا.

كنتُ راضي عن حياتي بشكل شبه متكامل، هذا ما استطيع قوله لدي عائلة أكثر من رائعة. .عمتي وزوجها. .اذهب للمدرسة، آكل جيداً اشعر بالأمان . .كل هذا يدل علي وفرة المال بالطبع. .لدي أصدقاء طفولة سوف يأتي دورهم قريباً جداً وبالتحديد مع "سمير الغريب"، وعلى الرغم من كل هذا كان هنالك شيئاً سلبي فقط يزعجني رغم عدم انشغال بالي به كثيراً وهو كما ذكرت سابقاً.. عن أمي الحقيقة أو حتى أن اعرف اسمها..هذا يكفيني..،وعن أبي الذي من المفترض انه ميت قبل أن أتيّ من الأساس.

لكن جدي يلمح علي عكس هذا. .لا اعرف حقيقتاً..فقط جزءاً كبيراً مني يريد أن يعرف حقيقة الأمر، وجزءاً أخر لا يريد أن يعرف أو بالأحرى لا يهتم أن يعرف.

حتى تغير كل هذا..

كنتُ راجعاً برفقة عمتي في احد الايام ليلاً بعدما انتهيت من دروس السباحة التي أنا فيها..، لن تصدقوا هذا. .كنت غير طبيعي في هذا الأمر، وأنا حينها كنت تقريبا في سن العاشرة من المرجح ان تجد من يخاف من الماء ومن يصاب بدوار، ومن لا يترك ولدته.. ومن يبكي. .ومن. .ومن في هذا العمر بالطبع.

أما أنا فبشكلٍ عجيب تشعر أنني ولدت لأكون سباحاً عظيماً، سرعتي في الماء لا تصدق، سوف تتعجب أني أسبح أسرع من أن اركض علي الأرض، ربما تدعوني بالكاذب الآن ولكن هذه الحقيقة التي من الصعب أن يصدقها احد..،ربما السرعة هي أهم شيء بنسبة للآخرين ولكن بنسبة لي.. الشيء الذي يهمني أكثر هو قدرتي علي كتم نفسي تحت الماء لأطول من ثمان دقائق، ومن المفترض آن لا تستمر لأكثر من ثلاث دقائق حد أقصي ولكن ثمانية هو أمر غير معقول. .أمر مجنون، لدرجة أن في احد المرات طلب المدرب من عمتي أن تذهب بي للطبيب لعمل بعض الفحوصات. .ولكن رفضتُ هذا الأمر بسبب خوفي من الإبر بشكلٍ كبير.

لا اعرف مدي علاقتي مع الماء. .اعشقه واعتقد انه يبادلني الشعور أيضا، في بعض الأحيان أذا وجهت لي سؤال عن..:

"ما الذي تعتقد انك تحبه أكثر، مصادقة الفتيات أم جلوسك في حوض يملئه الماء البارد النقي ؟!

سوف أجيب حينها بما انتم بالتحديد تعتقدوا، وهو الماء. .

"كل ما فيه ماء، هو شيئاً جميل..بنسبة لي"

اردد هذه الجملة كثيراً رغم عدم منطقها بنسبة للكثير..

***

لنرجع إلي هذه الليلة التي من بدايتها. .

بدأت حياتي في اخذ منحني أخر تماماً. .كنت راجعاً ليلاً مع عمتي "كلثوم" من النادي التي أُقبل فيه أصدقائي وهي المثل تقابل أصدقائها أيضا ، ..كنت اشعر قبلها بتغير بسيط في أسلوب عمتي، قرابة أسبوع كنت اشعر أنها حزينة وكنتُ قد لاحظت هذا أيضا في زوج عمتي يعملها بطريقة أكثر من جيدة ويهتم به كثيراً وبطريقه مبالغ فيها. .وكانوا يخرجون كثيراً، لم تذهب للمدرسة لأكثر من أسبوعين وكان يذهب عمي يوم ويومين لا . .كنت ارجع ولا أجدهم. .وعندما بدأت اشعر بشيء أنا مقبل عليه. .بدأت تتجمع الكثير من الأفكار السيئة في عقلي. .بدأت اردد داخل ذهني :

-"هل لم يعد مرحب بي معهم أم ماذا ؟!"

-"هل يخططون لتركي في ميتم أم ماذا !؟"

-"لا ربما أسوء، يخططون لتركي مع جدي المجنون هذا"
-"ماذا افعل إذا صار هذا. .،سوف اهرب ليس لي حل اخر افضل الموت عن أن أكون معه ولو لساعات دون عمتي "
نعم أتذكر هذه اللحظات بشكلً جيد. .راودتني هذه الأفكار وبعدها بلحظات جهزتني عمتي لنذهب للنادي ليلاً علي عكس المعتاد لأنه يوم راحتي من التدريبات واعتقد أن أصدقائها لن يأتوا اليوم.
انتهينا من النادي ورحلانا دون فعل شيء يذكر، فقط كنا نشاهد الناس ونضحك عليهم دون سبب محدد في داخلنا. .هذا نحن نضحك علي إي شيء وأي حركة. .ولكن لم تكن ضحكات عمتي فرحاً بل حزناً وكأنها تتألم. .، أتذكر أدق تفاصيل هذا اليوم. . كانت ترتدي جيبه واسعة في هذه الليلة مع قميصاً ابيض طويل عليه ستري سوداء رغم كرهها لهذا اللون التي لم تكن تفضله. .كانت تخرج منديلاً كل بضع لحظات لتمحو دموعها قبيل أن تتساقط علي خديها. .
كنت العب مع كلاب الشارع محاولاً عدم طرح سؤالاً لها عني، ربما هي حزينة لأنها سوف تتركني. .ولكن لماذا ؟! لما لا تتركني وحسب !!لما هي حزينة لهذه الدرجة.
كانت تمشي أمامي حتى لا أراها تبكي، وكنت في الخلف مع الكلاب التي تعرفني. .حتى التفتت مرة تشير بيدها لكي اقترب منها وامسك يده. .فاقتربت علي الفور وأمسكت بيدها الدافئتين. .وبدأنا نمشي جانباً إلي

جنب. .وقبل اقترابنا من المنزل. .نظرت إلي بعينها التي علي وشك البكاء مرة أخري ويظهر عليها الحزنُ الشديد:

_هل سوف تحزن شحتو، إذا تركتك وحدك في هذا العالم مع جدك ؟!

نظرتُ لها وكأني استبقت الزمن وأنا حزين. .وبدأتُ أفكر في حياتي التي سوف تنتظرني قريباً، قائلاً وعليَ علامات عدم المبالاة التي تخفي الكثير من الأشياء:

_أنت يا عمتي. .

وتوقفت لبضع اللحظات وأفكر أكثر في ردي. .وتابعت:

-يا عمتي. .،ربما أكون صغيراً ولكن أعلم بما يدور من حولي. .تعتقدين أني طفل ولا أقدر علي فهم ما تفعليه لأجلي. .أنت مخطئة، أقدر كل شيئاً قد فعلته يوما لي لغرض راحتي، أنت لستِ مجرد عمتي لا بل أنت أمي. .أنتِ أعظم شيئاً في حياتي، لا أرى غيرك ولن أرى..

وصمتُ مبتسماً لها وهي تنظر إلي يعيناها التي تلمعان بالدموع ومع احمرار وجهها وأردفت:

-أحبك يا كلثوم..

انتهيت من الحديث وكنت علي وشك البكاء أنا أيضاً، فالكلمات وحدها لا تفي بالغرض..

لقد تركت يدي ونزلت بكلتا ركبتيها علي الأرض وهي تضع يدها علي كلتا ذراعي. .وقبل أن تبدأ بالبكاء أخذتني في حضنها الدفيء..تقول وهي بالكاد تقدر علي الكلام:

_لن أتركك أبدا، لن أتركك أبدا أنا أعدك بهذا. .سوف ابقي معك إلي الأبد.

.

***

الفصل الثاني

"حب كلثوم الشديد"

لم أنسي هذه الليلة أبداً..، تلك الليلة التي قطع فيها الشك باليقين، وعرفت أن عمتي كلثوم لن تتخلي عني أبداً. .لا استطيع أن اعرف إذا كانت والدتي سوف تعتني بي بهذا الشكل أم لا. .، لم اعرفها. .حتى أني لم أراها من الأساس.. لهذا من الصعب الإجابة، ولكن من المؤكد أن عمتي هي أفضل الأشخاص الذين اعرفهم.

***

لقد وصلنا إلى المنزل الذي أصبح هادئ بشكل يثير الريبة بنسبة إلى. .،فأنا معتاد علي رن هاتف عمتي...،الذي لا يتوقف لخمس دقائق علي حد أقصي، أو التلفاز الذي يجلس عليه زوج عمتي إلى الفجر دون راحة. .وهو يشاهد المباريات ويتفاعل معهم وكأنه يلعب معهم.

حتى أنه في احد المرات وقفنا أنا وعمتي لنضحك عليه وهو يصيح علي فرقته ويسب الحكم...كل هذا بدون أن يعلم أو يشعر بهذا. .،بالطبع إذا علم سوف يغضب علينا ويصرخ فينا، لقد حدث قبلاً وصرخ عليّ عندما كنت أريد مشاهدة احدي القنوات المتخصصة في إذاعة الطبيعة

والغابات. .والحيوانات، حتى الأسماك، وكل هذه الأشياء نادرة في أيامنا هذه.

لا أتذكر طرفي هذه المباراة، ولكن عن حق لقد غضب وسرعاً بعد انتهاء المباراة ذهب إلى واعتذر وجلس بجانبي ليشاهد معي قنواتي المفضلة. .ولم يكمل خمس دقائق حتى ذهب في النوم. .أخفضت الصوت احتراماً له. .وإذا كنت تسأل عن عمتي في هذا أليوم فهي لم تكن موجودة ولا أتذكر أين ذهبت في هذا التوقيت اعتقد أنها ذهبت لجدي أو ربما ذهبت لإنهاء بعض الأوراق في المدرسة.

لنرجع للمهم، تأكدتُ أن هنالك خطباً ما في عمتي، ربما تشعر بالتعب من العمل أو هي مريضه ولا تريد إخباري. .لقد رجحت اعتقادي الثاني عن الأول. .ومع مرور الأيام تأكدتُ أكثر وأكثر من هذا.

في احد الأيام لم اذهب إلى المدرسة، كنت أريد معرفة ما يحدث لنا وما سبب عدم ذاهب عمتي وزوجها للعمل قرابة الأسبوعين الماضيين.. فأنا اعرف أنهم لم يخبروني وتيقنت أن عليّ معرفة ما يجري بنفسي. .

جلست في المنزل متغيباً عن المدرسة..، هذا اليوم أتذكره..،أليوم الذي هو الأول لي طوال مسيرتي المدرسية الذي أتغيب فيه دون سبب وجيه بالطبع فأنا امرض مثل باقي البشر..، أنا معروف "بمعجزة المدرسة الذي لا يغيب"..، حسناً امزح لست معروفاً بهذا ولكن كنت من. .من يذاكرون والمواظبين علي الحضور، وأيضاً من المتفوقين النادرين هذه الأيام، فنحن

في 2245م، لقد أصبح من النادر أن يتعلم الناس هذه الأيام. .الخيار المنتشر في أيامنا هذه هو "شريحة الذكاء الاصطناعية"، لدي واحدة ولكني نادراً ما استخدمها من الأساس. .تريد أن إخبارك بشيء أخر، التلفاز هذه ليس تلفاز بل شاشة عرض ضوئية نشغلها باستخدام شريحتنا. .ولكن اجعل زوج عمي من يشغلها لي كل شيء في وقتنا هذا يعتمد علي هذه الشريحة التي تتم زراعتها فينا عند دخول المدرسة.

رغم هذا كنتُ أواظب علي ذهابي للمدرسة بشكل يومي، فأنها اختيارية في الأول والأخر. .حتى المعلمين معظمهم لا يذهبون. .أيضاً بنسبة لهم هي اختيارية. .أنها التكنولوجية السوداء أو ربما السهلة..علي حسب ما تعتقد بشأنها.

***

جلست هذا أليوم بعدما نجحت في إقناعهم أني اشعر بالتعب بعد عدم قدرتي علي النوم بسبب الكوابيس التي تلازمني كثيراً هذه الأيام، كأنت أكذوبة احترافية بلا إي ادني شك. .ولكنها ولحسن الحظ قد نجحت معهم. جلست في غرفتي أنتظر طرقهم لباب غرفتي لأخباري بأنهم سوف يذهبون للتسوق أو إي شيء كعتادهم قبيل اختفائهم لساعات..،فقط يكذبون علي حتى يهربوا مني..، علي فور ارتديت قبعتي السوداء..وكنت قد جهزت ملابسي وأخذت بعض المال للحالات الحرجة. .انتظرت تقريباً بضع الدقائق حتى رأيتهم في الخارج من النافذة. .أخذت مفتاح المنزل وهبط

الدرج علي الفور بأقصى سرعة حتى لا افقدهم وفي نفس الوقت لا يروني أيضاً.

كانوا قد وصلوا إلى نهاية الشارع وواقف منتظرين سيارة اجري حتى يركبونها. .وأنا كنت مختبئاً وراء احدي السيارات ارقبهم عن كثب، لم يقفوا للحظات حتى استقلا واحدة. .وبدئوا تحركهم وسط تركيز مني لمحاولة معرفة ما يجب أن افعله.

وقفت في مكان وقوفهم قبل أن يستقلوا العربة لتخمين مقصدهم. .ووصلت إلى خيارين وحداً منهم هو طريق ألمشفى القريبة من المنزل، والأخر هو طريق البنك. .كان علي المراهنة في هذه اللحظات القليلة المتبقية لي لأخذ القرار، وكان من حسن الحظ أني اعرف طريقاً مختصراً للمكانين. عليّ وضع رهانا إي طريق علي أن اسلك يا تري..، مكثت بركبتي علي الأرض واضعاً يدي علي وجهي. .ومعي اقل من دقيقة أيضاً علي أن أتحرك في اقل من دقيقه،تحرك يا شحتة. .خذ القرار وهيا. .،كل شيء يعتمد علي الحظ في اختياري الآن. .استقر رهاني علي الذهاب للمشفى رغم أنها اقرب من البنك وهذا لا يلزم ركوب سيارة. .،وأيضاً رغم كرهي للذهاب إلى هذا المكان.

لقد ذهبتُ له مراتً عديدة عندما كانت تأخذني عمتي لأجرأ الفحوصات علي حلقي الذي ألمني كثيراً وأنا في الثامنة تقريباً. .،لماذا المشفى ؟! لا أعلم حقاً ولكن شعرت أن عمتي ليست بخير وتمنيت أن أكون علي خطأ.

اركض في الطريق الذي لم يكن مزدحماً بالناس كثيراً ابتسمت، ابتسامة تدل علي شفقة. .نعم ما الذي افعله، ما الذي أفكر فيه من الأساس ماذا إذا كانوا سوف يتوجهون إلى مكان أخر أنا لم أتوقعه، ماذا إذا كانوا ذاهبين لمقابلة أحدا حتى !! لماذا أفكر بهذه الطريقة من الأساس.

***

وصلت إلى الباب الرئيسي لمدخل ألمشفى، واستندتُ بيدي علي ركبتي لالتقط أنفاسي من أثر الركض المستمر. .وفكرت قليلاً عن ما سوف افعله تالياً، كأن لدي ثلاث من الخيارات ليس لهم رابع، أولاهم:

-اختبئ خلف إي من العربات القريبة وأنتظر خروجهم ومن ثمة امسك بهم متلبسان دون أن أعطيهم مهرب وأن أواجههما، وأجبرهم علي إخباري بما يخفونه عني..

هذا الاختيار له شيء سلبي وهو أني لا اعرف متى سوف يخرجون أو إذا كانوا في داخل من الأساس.

أما الخيار الثاني الذي أرجحه أكثر:

-هو دخول والبحث عنهما. .ومعرفة ما يحدث، لربما عمتي مريضه. .ليست ربما، لا أنها مريض. .حدسي يخبرني هذا.

كنت علي وشك مراجعة الخيار الثالث حتى لمحت زوج عمتي خارجاً من الباب الرئيسي متوجهاً إلى احد محلات البقال المجاورة للمشفى، حينها شعرت بنبض قلبي الذي تسارع بدون أن يهدأ لبضع الدقائق. .كأن صعباً،

ما الذي يحدث لي. .قلبي ليس علي ما يرام، وضعت يدي علي صدري وأنا بالكاد استطيع التنفس وفي لحظة فقد الإحساس وسقطتُ علي الأرض خلف احد السيارات التي توجهت لها مسرعاً حتى لا يراني احد.

لم يمر هذا الحال إلا بضع دقائق فقط. .استعدت واعي واستندت علي السيارة حتى لا أقع بسبب توازني المضطرب، وأنا اشعر بالخوف. .شعرت أنني سوف افقد احد اقرب الناس لدي قريباً. .حاولت أن اهدأ، لا استطيع. .تحركت إلى احد الأشجار القريبة ومن ثمة وقفت خلفها حتى لمحت زوج عمتي على وشك أن يدخل من باب المشفى. .وأنا أنظر في اتجاهُ،وأنا علي وشك البكاء مسائلاً نفسي:

-ما الذي يفعله واحده، أين عمتي. .لما ليست معه، هل يعقل !هل فقدها أم ماذا ؟

أعدت النظر إلى عمي قد أنتهي من شراء علب العصير، ظهرت عليّ نظرات الاضطراب وهي تزداد أكثر وأكثر . .، أفكر عن ما أنا علي وشك فعله الآن، وفي لحظة لم اشعر بها بنفسي.

تحركت كلتا قدمي مسرعة إلى الداخل وأنا ابكي. .حتى أنني مررت من أمام زوج عمتي ولم ألاحظ هذا، نعم أتذكر لقد لمحني وصرخ عليّ بعدما تعجب من وجودي هنا ، صرخ علي وأنا قريباً سوف أكون في داخل المشفى نفسها:

-شحتو ما الذي تفعله هنا. .؟!توقف..

وبدأ يجري خلفي وهو ممسكاً بعلبة العصير، متابعاً:

-توقف سوف أخبرك بكل شيء.

لم استمع إليه أبداً ليس لأني لا أريد ولكن فقط لم أقدر. .كنت علي وشك الدخول والبحث عن عمتي، ولكن امسك بي احد رجال الأمن السمينين البغيضين. .،أللعنين، غضبت وبدأت أتشنج عليه، أخبرته عديد المرات أن يتركني ادخل، حاولت الإفلات من قبضته القوية ولكن بلا نفع كأن صلباً للغاية. .كأن علي وشك أن يضربني بسبب سبي له بلا توقف. .أنقذني زوج عمتي من قبضته واعتذر نيابةً عني، وشدني من يدي بقوة وهو عليه ملامح الغضب يتبعها الحزن وعدم الاتزان. .جرفني إلى الخارج وأجلسني في احد المقاهي القريبة. .وطلب مني أن أهدأ من روعي، وسألني إذا قد كنت أكلت طعامي الذي قد احضره صباحاً. .أجبت بهز رأسي مشيراً إليه بـ"نعم" وكنت اكذب حينها، فكما أشرت قبلاً أني كنت علي عجلة من أمري للحاق بهما قبل أن افقد إثرهم.

ذهب تامر واحضر لنفسه كوب من القهوة رغم علمي أنهُ لا يحتسيها صباحاً مما أثار تعجبي، واحضر معه كوب من الشاي لي بعدما خيراني بينه وبين العصير. .جلس بعدما احتسي القليل في شرود وكأنه يفكر عن ما سوف يخبرني به. .اخذ شهيقاً وأطلقه معلن عن بدأ حديثة:

-شحتة، عمتك مريضة. .

لم يصيبني الذهول لقد توقعت هذا ولكن ما الجديد كل ناس يمرضون هذا شيء معروفاً، كنت فقط أريد معرفة ما هو مرضها، وحالتها أيضاً

حتى أكمل زوج عمتي محاولا كبح دموعه من التساقط:
-أنظر شحتة، اعرف أنك توقعت هذا سابقاً، فلقد كنا أنا وعمتك في حالة اضطراب طوال هذا الشهر وليس الأسبوعيين الماضيين فقط. .مما أوصل لك أن هنالك خطباً ما، كل ما أريد إخبارك به أن حالة عمتك ليست بالجيدة أبداً.
بدأت تتساقط دموعه قبل أن ينهي جملته، مما جعلني أنا الأخير في حالة من عدم الإحساس بما حولي، حزن. .اضطراب. .كل هذه الأشياء الصعبة الحزينة التي لا يقدر إلا البكاء علي ترجمتها. .وكأنه يخبرني متألماً:
-عمتك لن تبقي معنا لوقتٍ طويل..

***

"أصيبت بمرض جديد كأن منتشراً مواخر في عالمنا هذا، لا يصيب إلا السيدات فوق سن الخامسة والثلاثين. .يصيب كرات ألدمي البيضاء أو ليس يصيب. .بل يأكلها بمعني الكلمة، وتنتهي حياة المصاب بمدة أقصاها ستة أشهر..فقط أدوية المنشطات تستطيع.. تعلم تقليل ألمعناه ليس بأكثر"

***

انتهيت من الشاي وأنتهي زوج عمتي من القهوة، وتحركنا لدخول ألمشفى والبقاء بجانب عمتي إلى أن تنتهي من عمل الفحوصات. .،دخلنا ووصلنا إلى الغرفة التي تتواجد فيها. .مستلقية علي السرير الطبي هذا ويملئها

الكثير من الإبر والمحاليل البيضاء والحمراء والذي اعتقد أنها عملية نقل دم.

أظن أنها كانت في حالة من فقدان الوعي المؤقت من كثرة ما تتلقاه. .انتظرنا قرابة الساعة علي كراسي الانتظار ليسمح لنا الطبيب بدخول وإفاقتها. .كنت شارداً وفاقداً التركيز ربما من جوعي الذي لم اشعر به ولكن تأثيره بدأ يظهر. .وعندما التفت ناظراً إلى زوج عمتي الذي لم أبالغ إذا وصفتُ أن حالته لربما أسوء من حالتي هذه، واضعاً رأسه بين يديه ناظراً إلى الأسفل وتبدو عليه علامات الخوف من شيء مثلي تماماً ولكن بشكل يسبق أوانه. .وكأنه يخفي شيئاً أخر عني ولا يريد إخباري به. .

دقت الساعة الواحدة ظهراً، لمحت فيها احد الأطباء يدخل الغرفة التي تتواجد فيها عمتي ربما يريد فحصها، وقفت أنا ناظراً إلى نافذة باب الغرفة ولمحت أن عمتي قد فاقت أخيرا. .ولم تمر لحظات حتى وجدتها لمحتني هي الآخرة لتبتسم لي.. وتشير إليّ بيدها لأدخل، دخلت من هنا وخرج الطبيب من هنا فلتفت وأنا أتعجب من فعله. .لما لم يفحصها لقد قال بعض الجمل وخرج علي الفور..حتى أنه لم يزيل هذه الإبر حول جسدها..لم اهتم لهُ كل ما كان يهمني هو عمتي ليس إلا، ولكن بدأت ثورة في داخلي عندما وجدته يتحدث مع زوج عمتي في الخارج. .وقفت بعدما استدرت بظهري إلى عمتي ادقق النظر فيها. .واجدها ضعيفة. .وكأنها تحتضر الآن إمامي أو تحت ناظري. .عاتبتُ نفسي بشدة قائلاً وأنا أمسك بيدها:

-كيف لم ألحظ، طيلة هذا الوقت كانت تتألم. .

وقفت لم أتحرك لبضع اللحظات وكأن الزمن قد توقف من حولي. .أري من كأن بجانبي طيلة حياتي التي لم تبدأ بعد يموتُ أمامي في أضعف حالته وأنا ليس بيدي شيئاً افعله. .التفتُ إلى الخلف مرة أخري لأجد زوج عمتي يبكي محاولا كتم صوته باستخدام قبضة يده، يضغط ويضغط بأسنانه وهو علي وشك إزالة جلد يده دون أن يشعر. .تقدمت إلى الإمام ممسكاً بيد عمتي مجدداً محاولا أن أجد مكانا لتقبيلها ولم اقدر بسبب كل هذه الإبر. لم تزل ابتسامتها الموعودة وهي حتى علي وشك الموت. .هي نفس الابتسامة التي تعطي الأمل ولكن هذه المرة كانت تخفي الكثير والكثير من الألم.

دفنتُ رأسي علي سريرها ابكي وابكي بشدة. .حتى وجدتها تقول بصوت يكاد مسموع يملئه الحزن وضعف واضحان:

-شحتو، اخبرني لما تبكي ؟ أنا لا ابكي. .لما إذن تفعل أنت ؟

رفعت رأسي متعجباً بما تقوله. .أخبرتها وأنا لا أريد فعل هذا:

-لا يا عمتي، أنتِ تبكي.

ربما هي حقاً فقدت الشعور بنفسها، وجدتها تحاول الصعود بظهرها وتلتفت لي قائله بصوتٍ خافت:

-ربما تظن أن الموت هو النهاية ونعم أوفقك الرأي هو النهاية، ولكن لبدأ شيئاً أخر له أهميه وهو حياتك. .،أريد إخبارك بشيء طلبه مني جدك

بعدما طلبه أبيك منه..وفضلت أن أخبرك به عندما تبلغ العشرين أو ربما الثلاثين. .

قطعتها علي الفور بغضب:

-عمتي، لا تتحدثي أرجوك. .فقط استريحي سوف تصبحين علي ما يرام بعد قليل. .أنتِ. .أنتِ تحتجين لراحة فقط. .نعم، جميعنا نحتاج للراحة. .

حتى صمت وتابعت في داخل نفسي:

-"هذا كابوس. .هذا كابوس يا شحتة ليس إلا..، سوف ينتهي قريباً أنا اعرف هذا. .سوف استيقظ بعد قليل "

وضعت يدها فوق شعري الطويل والناعم. .مردفةً:

-أنت تشبه، عن حق أنت تشبه أخي الصغير المجنون. .ولكن أقل جنون قليلاً (وكانت بالكاد تستطيع أن تضحك) حتى أكملت:

-قبل وقتٍ طويل، دلف أبي إلى حاملاً رضيعاً لم يكمل الشهرين من عمره، جاءني وأخبرني أنه أبن علام. .لم أصدق في بداية الأمر ولكن نظرات أعينه أوضحت أنه لم يكن جدياً كهذه اللحظة، أخبرني أن أعتني بك مؤقتاً إلى أن يأتي أبيك ويأخذك وأن أخبرك عندما تبلغ العمر المناسب أن والدتك حيه. .،أقسم أن هذا فقط هو كل ما أعمله عن عائلتك. .

بدأت تضع يدها علي قلبها من الألم، حتى أن بدأتُ اشعر بألمها أنا كذلك . .رغم كل هذا لم تتوقف للحظات وأكملت مبتسمة:

-أريد أن أسألك شيئاً.. شحتو، أنا عمتك كلثوم هل اعتنيت بك جيداً. .اخبرني بصراحة ؟

لا اعرف ما كانت حالتي عليه بعد جملتها الأخيرة هذه، ولكن كل ما تذكر أن جوابي كأن:

-أنتِ أمي يا كلثوم..

***

الفصل الثالث

"لقاء قديم"

هذا ليس إلا عملاً قاسياً من القدر في حقي أنا "شحتة"..، أراد أن يغير شيئاً أنا لم اهتم به من الأساس. .ولم أكن سأهتم به.

كلام عمتي في نهاية حديثنا سوف يفتح في عقلي كثيراً من الأشياء التي لا مهرب منها، أشياء حقاً لم ارغب في معرفتها.. ومع مرور الوقت سوف اعرف أسرار "علام" أبي.

***

ماتت عمتي وماتت مشاعري معها . .من الصعبِ تقبلُ الأمر علي وعلي تامر، وخاصة عليه وهو الذي من المفترض أن يكون صامداً علي الأقل أمام الحضور في يوم تلقي العزاء،ولكن علي العكسِ تماماً أنه منهاراً بمعني الكلمة. .لم يقف لتلقي واجب العزاء من أحدا من كثرة بكاءه طوال اليوم . .مع هذا ومن حسن الحظ، كان المسن الأربعيني موجوداً يومها، يرتدي زيه ألأنيق والفاخر واقفاً وأنا بجانبه جالساً وقبلي كان زوج عمتي جالساً هو الأخر. .كنتُ صغيراً حينها، أتذكر أنه لم يكن هنالك إلا قليلاً من الحضور، معظم عائلتنا قد ماتوا سلفاً أو يعيشون في الخارج .

انتهت الليلة وذهبنا أنا وزوج عمتي ومعانا جدي إلى شقة لنستريح من التعبِ. .وإثناء هذا وبالتحديد إثناء صعودنا علي الدرج امسك جدي بيدي بقوة كادت تؤلمني.

نظرت لهُ بخوف فأنا اعتقدُ أنه مجنون من الأساس، كان يتقدمنا زوج عمتي بفارق ليس بسيط لم استطع أن اخبره أن يبعده عني. .،هذا المجنون لا اعلم ما يريده مني. .،حاولتُ الإفلات منه ولكن بلا فائدة. .سألته عن ما يريده ولكن لم يجب حتى ترك يدي فجأةً وقال شيئا لم أنسها أبدا:

-هل أخبرتك يا ولد أم علي فعل هذا..؟!

سمعتُ كلامه وركضت خائفاً منه، حتى توقفت ونظرت له لبعض اللحظات ادقق فيه بشده،ملامحه وجسده الضعيف. .حتى لاحظت أنه حزين أو ربما بائسٌ. .لا افهمه، حقاً لا افهمه..ما الذي يريده؟!، لا احد يفهمه. .هذا المسن يخفي الكثير من الأشياء عني. .لماذا لا يخبرني وينهي الأمر فقط، ما الذي يمنعه.

مصيره سوف يرتبط بمصري. .ولكن وبرغم هذا كله أنا فرحٌ بسبب مشاعره الحزينة علي فقدان ابنته. .كنتُ اعتقد أنه نسي عائلته وأصبح مثل الجماد..وأيضاً وإذا لم يفوتني شيء فهو فقد أبنائه ألاثنين. .عمتي وأبي. .حقاً بدأتُ اشعر أن كل هذا من فعل القدر الذي لا أؤمن به لكي يربط بينا.

***

جاء صباح أليوم الرابع من وفات عمتي.. أنا وزوج عمتي غير مصدقان ما حدث إلى حد الآن،كنا نقابل في الأيام الماضية العديد من الناس ونحن شبه فاقدان للوعي، العجوز معنا هو من عانى كثيراً .هو من كان يقابل الناس طيلة الثلاث أيام الماضية وهو من كان يحضر القهوة ويجلس معهم، كان المسئول .

جاء صباح اليوم الخامس وكنت قد عزمتُ أن ألح علي تامر أن يصطحبني إلى قبرها حتى أتحدث معها، وإذا ما رفض لكنتُ ذهبت وحدي. .دلفت إلى غرفته بعدما جهزت نفسي وارتديتُ القبعة التي أحضرتها إلى لأجده قد جهز نفسه سلفاً .ليلتفت إلى بعدما رأى أني جاهزٌ :

-جيد لقد استيقظت..، كنتُ سوف أتركك واذهب وحدي. .هيا لنتحرك.

أنتهي من حذائه، وخرجنا علي الفور وكانت الساعة قرابة العاشرة صباحاً.

أمام القبر الذي تتساقط عليه إشاعة الشمس الحارقة في يوماً مشمساً.

.،جلسنا بجانب القبر برفقة شرودنا وحزننا الذين لم يفارقنا ولو للحظة واحدة من هذا أليوم البأس.

كنتُ شارداً أنظر للسماء حتى أيقظني زوج عمتي واضعاً يده عليّ وهو تقريباً غير واعي. .وقد استسلم سلفاً لدموعه. .قال لي دون ألالتفات :

-تعلم شحتة عمتك هي أروع شيء قد حدث لي في حياتي. .هل تعرف كيف تقابلنا وتعرفنا لبعضنا البعض ؟

لم أكن اعرف ولم أكن أريد أن اعرف، أو بالأحرى لا اهتم. .كيف تقابلوا من الأساس، ولكن علي عكس الآن. .فأنا بالتحديد أريده أن يتحدث فحالته أسوء مني . .لم أره يتحدث طيلة الأيام الماضية من أثر الصدمة. .كما قلتُ سابقاً، تقريباً هو لم يقابل أحدا من الضيوف وجدي هو من تكفل بكل هذا كما قولت .

أجبته مصطنعاً ملامح الشغف لمعرفة قصته:

-نعم، اريد أن اعرف يا تامر. (كانت المرة الأولى التي أناديه فيها باسمه) ربما هو وقت التضحية ببعض المبادئ.

أجابني في شرود ناظراً إلى السماء الصافية:

"تامر"

-كنا في الجامعة. .كنتُ أكبر من عمتك بشهور قليلة. .كانت جميلة، أجمل فتاة قد رأيتها في حياتي. .لمعان شعرها الذي لا يوصف ونعامته كالحرير برغم أنه قصير. .قلبها الطيب معي ومع كل الناس، كانت "كلثوم" أجمل ما في الوجود كله، اشك أنها من البشر. .، اقرب لملاكً قد بعثه الرب لينير حياتي..أتذكر أليوم الذي قابلتهُا فيه بكل تفاصيله، كانت الجامعة إجبارية حينها ليس مثل الآن من يريد أن يذهب أو لا يريد. . بل كانت إلزامية، ولو احد قرر أن ينقطع عن ذهاب يعاقب بالفصل، آو حتى غارمة ماليه...كان نظامنا غريباً وفاشلاً حينها.

قابلتها في هذا اليوم الممطر العاصف. .كان يوماً شديداً وصعباً. .كان صباحاً وكان عليّ الذهاب للاختبار وفي طريقي كله كنتُ اسبُ الأمطار والوحل، حتى الهواء البارد الشديد أسبهُ من شدّت غضبي..،. .ولكن وصلت بعد كل هذا التعب والمقاومة، ووجدتُ أنها مغلقة. .خفت إذا كان ألاختبار قد بدأ وأنا تأخرت. .حتى وجدت هذا الملاك واقفاً بجانبي ويقف نفس وقفتي وأنا لم ألحاظه كل هذا الوقت.

قالت لي أنها سألت رجال الأمن قبل بضع دقائق أنهُ أخبرها أن قد أُصدر قرار بتأجيل ألاختبار إلى الأسبوع المقبل وإغلاق الجامعة اليوم بسبب سوء الأحوال الجوية. .فارتاح قلبي حينها. . كنتُ سوف التفت لشكرها لأخباري.

. .لاحظت أني مشوش وشارد الذهن من عصبيتي قبل وصولي للجامعة. .بدأت تشير بيدها أمامي وهي تقول. .:

-"مرحباً، هل أنت هنا أم ماذا. .هل أنت تعب؟!"

وكانت تضحك وتبتسم. .سريعاً هززت رأسي قائلاً في توتر شديد:

-نعم أنا هنا، موجود. .أشكرك علي إخبارك لي. .لستُ تعباً، معذرةً علي الذهاب الآن.

كنتُ قد لعنت نفسي بعد قول هذه الجملة. .كانت فرصة لفتح حديث معها، فلقد أعجبتُ بها ولكن أظن أنني جبان، نعم أنا جبان ولكن لم أتوقع

أن يكون لهذا الحد. .علي الأقل رافقها إلى منزلها في مثل هذه الأجواء السيئة. .ولكن لا فعلت العكس.

حتى قررت فجأة أن التفت معلناً الحرب علي عقلي، نعم. .سوف اتحدي عقلي هذا واطلب منها أن أرافقها إلى منزلها. .،لم اشعر ببرودة الطقس حينها، بل لا لم اشعر بشيء وقتها أبدا.. وكأن طبول الحرب المشتعلة تجعلني دافئ، كنتُ علي وشك ألالتفات لها. .حتى وجدت إصبعا علي كتفي يطرق ويلاحق كل هذا صوت جميل يصعبُ عليّ وصفه. .،لست أبالغ إذا قلت أنني سمعت صوتاً قادماً من السماء. .إذا كان الأمر في يدي لسجلته وجلست استمع له عديد من المرات وحدي.

تمنيت حينها أن يصمت الكون كله وليستمع معي لصوتها، قالت بخجل:

-معذرة إذا لم اسبب لك إزعاجا، هل تستطيع مرافقتي إلى المنزل. .إذا لم يكن لديك مانع بالطبع..أنه قريب من هنا ولكن هذه الطقس يجعلني أشعر بعدم الراحة

التفت سريعاً وفي لحظة لم اشعر بها بنفسي، لحظة اندفاع هي الأولي في حياتي الروتينية الأقل من العادية حتى. .أمسكت يديه وأنا أنظر إلى وجهها :

-نعم، أرجوك.

علي فور سحبت يدي وقدمت اعتذاري لها علي ما فعلته بعدما شعرت هي بالحرج. .وماشينا في طريقنا صامتين..أنا في الخلف وهي أمامي، وأنا كل ما

في ذهني حينها. .هو مفتاح صغير لفتح إي حديث بيننا. .كانت حرباً بين مسبقاً مشاعري وصوت عقلي. .حرباً رجحت كافة العقل.

وفي لحظة من الشرود التام وجدت الملاك يحدثني وأنا لم استطع سماعه من شدّت جماله، حتى تعثرت قدمي وكدت أن أسقط علي الأرض..كنت علي وشك الوقوع بقوة حقاً، حتى وجدت الملاك الأبيض بنورة الشديد يمسك بي بكلتا يديه.

من هنا بدأت حياتي في اخذ منحنا أخر تماماً. .وجدتها بجانبي إلى أن استعدت توازني الذي تمنيت أن لا أستعيده أبدا، أردت أن تمسك بي هكذا إلى نهاية العالم كان حلمي قد تحقق وعرفت "كلثوم" أن هنالك شخصاً يدعي "تامر" يعيش معها علي نفس الكوكب. .استعدت توازني أخيرا ووجدتها تخبرني بغضب الملاك هذا:

-لماذا لم تستمع إلى، لقد حذرتك يا تامر من صخرة أسفل الوحل كنت أنا من سيتعثر بها، ما خطبك؟!.

اتسعت كلتا عيني من التعجب بدأتُ اصرخ في نفسي:"كيف ؟! كيف تعرف كلثوم اسمي !!؟ هذا لا يعقل. .هل هذا القدر أم ماذا، نعم لقد جمعنا القدر أنا علي يقين بهذا "

حتى وجدتها تضرب كتفي بقبضة يدها الصغيرة لأستعيد وعي وأتوقف عن تعجب داخل نفسي علي الفور، واجداً فمي يتحدث دون أن أشعر به:

-أنتِ، أنتِ تعرفين اسمي. .كيف هذا ؟!

توقعت أن تتركني وتذهب غاضبه بعد هذا السؤال ، ولكن عندما يريد القدر فعل شيء يفعله. .هذا معروف عند الجميع.

ولكن، وجدتها تبتسم لي قائلة في سخرية إلى حداً ما:

-بالطبع. .بالطبع أعرفك تامر لقد كنت معي من أيام الثانوية وها نحن في نفس الجامعة أيضاً، وكنا جيران عندما كنا أطفالا ألا تتذكر هذا. .لا ألومك كنا في ثامنة حينها. .كان منزلك ومنزلي جانبا إلى جانب. .وكانت والدتي صديقه لوالدتك أيضاً. .كما المثل مع والدي والدك، كانت أيام رائعة قبل أن أنتقل إلى العيش في مكان أخر تماماً بسبب ظروف عمل لدي والدي حينها. .كنتُ دوماً أراقبك تامر، توقعت أن لا تتذكرني ولكن أنا لم استطع فلقد أنقذت حياتي مرة، هل تتذكر ؟!

لأقول في صدق وصراحة، أنا لم اعرفها ولم أتذكرها إلى الآن. .لا اعرف ماذا يحدث، هل أنا في حلم أم ماذا؟!. .ما الذي تتفوه به "كلثوم". .لا استطيع أن أتذكرها ما الذي يحدث لي. .كنت جامداً أمامها وأنظر إليها لأجدها تنتظر مني الإجابة التي أنا لا اعرفها. .لا اعرف ما عليّ فعله الآن. .هل اكذب واخبرها أني اعرف أم اخبرها الحقيقة أني لا أتذكرها. .،اخترت قول الحقيقة ولكن بطريقة احترافية:

-نعم، أتذكرك كلثوم وإذا سألتني لما لم تتحدث معي طول هذا الوقت فسوف أجيب قائلاً:"لم املك الجراءة. .كنتُ جبانا أنا ومشاعري، خفتُ أن لا تتذكريني. .

حتى وجدتها ترفع حجبيها في تعجرف قائلةُ:
-قول أنك لا تتذكرني وأنهي هذا الملل تامر.
توقفت عن التفكير حينها وضحكتُ بشدة علي ملامحها وطريقة ردها هذه.
.حتى وجدتها تضحك معي هي أيضاً.
كان الطريق فارغاً حينها من قسوة الأمطار التي بدأت تهدأ مع مرور والوقت وها قد بدأت أشعة الشمس بالظهور أيضاً. .،وأكملنا طريقنا جنباً إلى جنب، نضحك ونتحدث بلا توقف وسألتها أكثر من مرة عن ما فعلته لها لأنقذها. .ولكن كانت ترفض الإجابة قائلة:
-لن أخبرك أبدا
حتى تيقنت أنها لم تخبرني أبدا، ورميت هذه الفكرة من عقلي نهائياً. .

***

أنتهي تامر من الحديث عن قصة لقائه القديم مع كلثوم، التي كانت قصة رومانسية إلى حداً كبير تتمتع ببعض الصدف والدراما أيضاً. .حتى وجهت له سؤالا وهو يبكي بعدما أنتهي:
-اخبرني تامر، هل عرفة كيف أنقذت حياتها آم لا ؟!
شدني إلى حضنه الحزين وهو يحاول التركيز والإجابة:
-لا يا شحتة، لم تخبرني. .ماتت ولم تخبرني إلى الآن.
حزنت بشدة، لأني أنا حتى أريد أن اعرف ولكن ما حدث قد حدث وماتت المعلومة بلا رجعه إلى الأبد آو ربما لا لحظة. .جدي ربما يعرف ولكن لا لن

أسئلة ولو أخر واحد علي وجه هذه الكوكب. .أزحت يد تامر وقمت واقفاً أمامه وعلي ملامح وجهي البرود مع العزم أن أفيقه بعدما أفقت أنا تقريباً نوعاً ما..

قائلاً بعدما أمسكت رأس تامر من ألأمام بكلتا يدي. .أمسكته من لحيته وذقنه:

-اخبرني تامر، هل انتهيت من البكاء أم لا. .أنا انتهيت عن نفسي ومللت منك. .

أخذت نفساً وشدّت لحيته وذقنه بقوة اكبر وتابعت:

-لقد ذهبت بلا عودة عليك أن تعرف هذا الآن ليس علينا إلا متابعة الحياة بشكلً طبيعي، لا تجعل كلثوم في قبرها تبكي علينا وعلي حالنا. .علينا أن نصمد يا رجل. .هل تفهمني؟!

لم استطع أن أكمل حديثي لقد بدأت بالبكاء أنا الأخر، تباً لقد فقدت السيطرة علي مشاعري.

***

أتت الساعة السادسة. .لقد ناسينا الوقت تماماً

وصلنا أمام المنزل قرابة الساعة السابعة والربع. .وقف عمي أمام المنزل ليخرج المفتاح طالباً مني أن اسبقه لأن عليه الذهاب لشراء بعض الطعام من البقالة القريبة. .هززت رأسي لهُ متفهماً اياه.

صعدت أنا الدرج بعدما أخذني بين ذراعيه قائلا بغرابة:

-اعتني بنفسك، إلى اللقاء.

لم افهم ما حدث..لماذا يودعني بهذه الطريقة البقالة ليست بالبعيدة لهذه الدرجة. .،وإثناء إخراجي لمفتاح الشقة..، جاءني هذا الشعور مرةً أخري. .هذا الشعور الذي جاءني يوم رحيل عمتي. .بالكاد فتحت باب المنزل وأغلقته جالساً علي الأرض مستنداً علي الباب، واضعاً كف يدي علي صدري وأنا اصرخ من شدة التعب:

- "هذا الشعور أنا اعرفه، نعم اعرفه. .ما الذي علي وشك الحدوث الآن هل سوف افقد أحدا أخر أم ماذا ؟ "

فقلت قبل أن أفقد الوعي:

-تامر، لا ترحل..

هذا الإحساس لا يأتي من فراغ. .ولكن صمدتُ وقمت من هنا وفقدت الوعي بنفسي وبعد دقائق أفقت..واعتقدت أني كنتُ أهلوس ليس إلا. .سالت نفسي، قائلاً:

-أين أنا ؟! ما الوقت الآن ؟!

نظرت إلى ساعة الحائط الضوئية واجد أنها العاشرة إلى الربع وهذه يعني أنني لم أفق بعد دقائق لا بل مرة قرابة ساعتين أو أكثر،. .متذكراً بعدها بلحظات شعوري الغريب. .بحثت عن عمي في إرجاء المنزل ولم أجده، شعرت بالقلق ونزلت ابحث عنه في الشوارع القريبة والوقت متأخر. .ابحث وابحث، هنا وهناك. .وأنا لا أريد أن افقده.

حتى وصلت إلى الشارع خلف منزلنا لأجد تجمع من الناس وعربة من الشرطة قريبة أيضاً. .اقتربت ومررت بينهم لأعرف مصدر كل هذا لأجد علي الأرض جثة عليها غطاءً ابيض. .اقتربت أكثر ومن الحسن الحظ لم يلاحظني احد إلى الآن.

اقتربت من مكان الجثة ونزلت بركبتي رافعاً الغطاء عن منطقة الوجه، لأجد وجه عمي وعليه بعض الدماء علي فمه وأنفه.

لاحظ احد رجال الشرطة وصرخ فيّ يعدما امسكني وطلب مني أن ابتعد. .حتى افلت من قبضته بقوة لم يتوقعها، اقتربت إلى الجثة مرة أخري واضعاً يدي عليها صراخاً وأنا بدأت ابكي:

-عمي. .عمي، تامر استفق ما الذي حدث لك

وبدأتُ أهز الجثة وأنا اصرخ، حتى شعرت بأحد يضع يده فوق كتفي قائلاً بخيبة أمل:

-عذراً يا فتي لقد انتحر.

***

الفصل الرابع

"سمٌ"

أن يحدث كل هذا لي وفي وقتٍ قصير لهو أمراً صعباً حقاً، أنها مرحلة فارقة عجيبة لم أتخيل أن تمر عليّ بهذه السرعة والقسوة الشديدان. .أولا عمتي وبعدها بمدة قصيرة جداً زوجها . .لم افعل شيء سيء ليحدث لي كل هذا فجأة، أصبحت أعاتب نفسي عندما كنتُ أريد معرفة اسم أمي فقط من قبل عمتي. .ليتني لم اسأل، ليتني لم اجعل القدر يلاحظ شغفي البسيط لمعرفة حقيقتها. .لما كل هذا فجأة. .لما ماتت عمتي، لما مات "تامر". . أيها القدر البائس الذي لا يستسلم لماذا تفعل كل هذا!؟، سوف أعاندك أكثر، سوف أصر أن لا اعرف وأن لا اهتم أيضاً. .لن تتغلب علي مهما فعلت، وحتى إذا كنتُ علي وشك أن أضعف أمامك سوف أرفضك وأحاربك. .لذا استرح فلا نية لي لأعرف.

***

مرة أسبوعان علي وفاة عمتي، وقرابة الخمس أيام لـ"تامر" زوج عمتي بسبب السم الذي شربه، هذا ما أخبرتنا به الشرطة.

هذه الليلة وتفاصيلها التي بالكاد أتذكرها بسبب عدم ألا واعي الذي مررت به في وقتها:

مرة قرابة الساعة تقريباً، ساعة من الصراخ والنحيب مني قرب جثة "تامر". .حاولوا رجال الشرطة إيقافي عديد المرات ولكن انتهت بفشلهم. .حتى حان وقت نقل الجثة لأجراء لها تشريح لتأكد من سبب الوفاء برغم من وضحه كوضوح الشمس. .لقد انتحر من شدّة حزنه علي وفاة زوجته الغالية. .انتحر ناسياً أمري أنا حتى، لقد وضعني في مأزق. .ما الذي يجب علي فعلة ألان واحدي في هذا العالم البائس التي تفوح منه رائحة عفن الخنازير البرية والفحم المحترق، اكره حالي.

جاء إلى نفس رجل الشرطة الذي وضع يده علي كتفي محاولاً أن يجعلني اهدأ ويخبرني أن هذا الشخص قد مات سلفاً

كل هذا بعدما سمع نحيبِ صوتي الشديد، اقترب مني مرة أخري وأنا أحاول أن أوقف دموعي وأمتلك نفسي. .قائلاً ويبدو عليه نظرات الحزن علي حالتي وحتى أنه رمقني بنظرات الشفقة أيضاً بعدما أوقفني من جلوسي علي الأرض واضعاً يديه علي كلتا كتفاي:

-أنظر عليك أن تهدأ قليلاً، ما اسمك ؟!

إجابته وأنا بالكاد استطيع:

-شحتة. .شحتة علام.

فتعجب وغير ملامحه:

-هذا اسم رائع يا شحتة، وأنا ادعي عزمي المسئول هنا ألان، عليك أن تهدأ قليلاً فأنت رجل لا تنسي هذا. .هل تستطيع فعل هذا !؟

نظرة إليه بعدما قال "فأنت رجل لا تنسي هذا " وقولت داخل نفسي:"وماذا بها أن تكون رجلاً، إلا يحق لنا البكاء والبوح بمشاعرنا الصادقة هذه. .ليس من المبرر أن تكون رجلاً حتى لا تبكي. ."

هززت رأسي بعد لحظات ايجابياً وأنا اعتزم حقاً أن اهدأ لأعرف ما يجب أن افعله، فتابع هو:

-احتاج أن تعطيني رقم هاتف لأحد اقترابه، هل تعرف إي احد ؟

فكرت لبضع اللحظات وتذكرت أني لا اعرف أحدا في عائلة "تامر"، ولكن حينها تذكرت جدي أيضاً وأن عليّ أن اخبره. .فقدمت يدي لرجل الشرطة مشيراً أن يعطيني هاتفة. .فأخرجته علي الفور بلا قول إي كلمات. .لأكتب رقم هاتفه وأنتظره إلى أن يجيب، وأثناء لحظات انتظاري بدأتُ ادقق النظر في الرجل إمامي "عزمي". .لأجده رجل في بدايات الأربعين من عمره. .قليل الشعر في منتصف الرأس كعادة الأجيال السابقة بسبب الإشعاعات في أخر عقدين. .نستطيع القول أنه نحيف ربما.

انتهيت من كتابة الرقم عبر الهاتف القديم الطراز هذا الذي لا يدعم الشاشة الضوئية..، والتفت لما حولي لأجد بعض رجال الشرطة يحققون حولنا. .ومن يبنهم من يأكل ومن علي الهاتف، ومن يبحث في محيط المنطقة عن قنينة السم. .حتى رد جدي أخيرا لأخبره ما حدث ولكن كما

توقعت لم يصدق في البداية حتى أعطيت الهاتف إلى "عزمي" ليخبره. .ليصمت جدي لبضع اللحظات قبل أن يجيب أنه في طريقه ولن يتأخر. شكرني "عزمي" وذهب ليحضر لي عصير وبعض الطعام من ألبقاله قريبة. .بعدما شعر أني منهك ولم أكل من الصباح، وكان حقاً يبدو عليّ هذا بشكلً واضح وملحوظ لي أي احد لأنها الحقيقة الحتمية. .وجهي ابيض كثلج، يبهت من كثرة الأحداث التي مررت بها.

مرت قرابة الساعتين ذهبت مع "عزمي" إلى مركز الشرطة منتظرين وصول جدي الذي تأخر بسبب قلة وسائل الموصلات ليلاً..كنت تحت أعين رجل الشرطة هذا ولقد عاملتي مثل ابناً له، اعتقد أنه لديه ابنً في مثل عمري، ربما أو ربما يعامل الجميع في مثل سني بهذه الطريقة ليس إلا.

وصل جدي أخيرا وعليه علامات التعب والإنهاك واتجاه مسرعاً إليّ واضعاً إياي بين ذراعيه ليواسيني علي ما حدث معتذراً أنه قد جاء متأخراً أيضاً. .وكانت هذه المرة الأولي التي اعتقد أنه اهتم فيها بي. .،المرة الأولى التي شعرت فيها أنه قريبٌ مني.

كما توقعت لم يأخذ الأمر إلا قرابة الساعتين، وأنتهي جدي من جميع الإجراءات بعدما تأكدنا أنه انتحر عن حق وليس بفعل فاعل ولكن هنالك شيء لم افهمه أثناء حديث جدي مع الشرطي قبل استلام الجثة وتقرير الدفن أو الحرق، نعم الحرق هكذا بدأنا نفعل في جثث الموتى، صارحتا فضلتُ أنا شحتة هذه الفكرة أو لم أجد غيرها حلاً منطقياً. .ليس هنالك

مكان لتكريمهم، استغل البشر كل قطعة ارض.. من النادر أن تجد الأشجار المتفرقة علي طوال الطرق، فجميعها قد قُطعت.

إذا كنت تريد دفن احد جثث أقربائك فعليك بشراء مكان بأغلى الأسعار لمدة وليس للأبد ربما نستطيع تسميتها تأجير وليس شراء نهائي. .دفنت كلثوم عمتي لأن معانا المال الكافي وسوف يدفن "تامر" أيضاً كما عمتي وسوف اطلب من جدي بشكل خاص أن يكونا علي مقربة من بعضهم البعض. .أظن أنه يتمني هذا أيضاً ولكن أتمني فقط أن نجد مكانا ولا نتأخر أبدا في فعل هذا.

لنجرع إلى محادثة جدي ورجل الشرطة..

وقع جدي علي أوراق استلام الجثة لبدء البحث لمكان لدفنها..،ولكن قال رجل الشرطة "عزمي" قبل أن يودع جدي ونحن في مكتبة ومن حسن حظي كنت جانبهم في هذا الوقت، استمع لهم:

-هل تعرف يا سيدي. .إلى ألان لم نجد قارورة السم الذي اشتره، ولم يتعرف إي من صاحب الصيدليات المجاورة إلى "تامر". .هل تستطيع تأجيل أمر دفن الجثة ليوم واحد علي الأقل، أريد التحقيق أكثر في هذا الأمر.

سمعتُ جملة "عزمي" الأخيرة وتعجبت في داخلي. .ماذا يقصد ؟هل هنالك من قتله !!. .ربما عليّ انتظار، رد جدي قبل انغماسي في أفكاري ونظرياتي هذه. .

وكأن رد جدي،رداً واقعياً أو بالأحرى أكثر منطقياً والأنسب أيضاً. .وضع جدي يده علي كتف رجل الشرطة "عزمي" . . وكنتُ قد نظرتُ له وأنا اجلس في مكاني بعيداً بخطوات قليلة ولحظت أن جدي يحاول منع دموعه من الظهور أمام رجل الشرطة. .ليجيب علي طلبه في هدوء والصرامة تبدو علي وجهه قائلاً:

-احترم شغفك هذا سيدي الشرطي، ولكن أكد لك أنه انتحر وكنتُ أتوقع هذا في إي وقت. .ولكن لا ليس بهذه السرعة لقد فاجئني عن حق. .

قبل أن يلتقط أنفاسه ويكمل حديثة بعدما، التفت إلى، وغمز لي وكأنه يحاول تخفيف عني..قائلاً:

-لقد انتحر بسبب شدّة حزنه، أنا علي يقين. .أتذكر عندما كانت تذهب له كلثوم في بعض الأحيان لكي تدعوه للخروج. .وعندما كنت اخبرها أنه المفترض أن يحدث العكس وهو من عليه أن يأتي لكِ. .ترد عليّ بجملة لم اقدر علي نسيانها إلى وقتنا هذا:

-"إذا انتظرت يا أبي أن يأتي هو، فسوف اضطر أن اجلس معك ليلاً لمشاهدة الأفلام القديمة هذه. .لا، لا أريد أن يحدث هذا لي "

وتوقف جدي عن الحديث وأشار بيده إلى لكي اقترب منه استعداداً للذهاب. .قبل أن يفتح جدي باب المكتب أردف مغادراً:

-العلاقة بين هذين الاثنين لا تُفهم . .سيدي الشرطي. .،كلثوم لا تستطيع العيش بدون تامر، وتامر لا يستطيع العيش بدون كلثوم. .هذا هو الشيء

الأكيد.، .كانت دائماً من تذهب له، وألان حان وقت رد الجميل وأن يذهب هو هذه المرة لها.

وامسك جدي بالمقبض ليفتحه ليأخذني معه، قبل أن أفلته سريعاً متوجهاً إلى الشرطي. .الذي نسي أمر تأجيل إجراءات الدفن من كلام جدي الجميل والمؤثر هذا. .توجهت له لكي أسئلة في شغف:

-ما اسم ولدك، او ابنتك ؟!

نظر إلى في تعجب يصعب شرحه قبل أن يشرع بسؤال يعتبر إجابة في نفس الوقت. .مبتسماً في اضطراب:

-نعم. .لا. .لا املك فتاة، فقط فتي يدعي مراد، تقريباً في مثل عمرك. .ولكن كيف علمت ؟!

هذا سؤال ساخر بالطبع. .فأنا لم اعرف إلا عندما قال. .،لقد كأن توقعاً ليس بأكثر، توقعت هذا لأنه تعامل معي جيداً في لطف من اللحظة الأولي. .هذا كأن كل شيء. .لستُ بمخترق عقول، أنا حتى لم أكن اعرف اسم ابنه هذا المدعو بـ"مراد".

أجبت عن سؤاله بعدما التفت للحظات لأري جدي المنزعج مني وعرفت أن عليّ أن أتحرك ألان. .،فتوجهت لأمسك يد جدي. .وأتابع في ابتسامة مغشوشة تقريباً:

-كأن توقعاً. .توقعاً.

***

مبتعدين عن المركز، بعد هذه الليلة التعيسة. .حزيناً ولكن متماسكاً كما كل حال، كما كل أزمة قد حدثت لي، حوالي الساعة الرابعة فجراً. .امشي وأنا تقريباً فاقد الإحساس احتاج إلى النوم والراحة لكي أفيق من كبوتي هذه وربما معها مرور الوقت.

امسك بيد جدي والتفت إليه كل بضع لحظات ناظراً له بتعجب قائلاً في داخل نفسي:

-هل هذا هو المسن الذي كنتُ أزوره مع عمتي كل عدّة أشهر. .؟! هل هو المسن نفسه الذي كل ما تحدث معي يذكر قصة سفينة أبي الميت تقريباً. .لا، لا يعقل هذا من الصعب أن اصدق، ربما هو بمريض ليس إلا. .ربما لديه الزهيمر. .

هذا يجعله ربما ينسي أشياء ويقول أشياء أخري. .ربما ظلمت جدي المسكين هذا.

توقفت عن الحديث داخل نفسي بعدما لاحظت أنه لاحظ نظراتي إليه. .حتى قال في لا مبالاة:

-ماذا ؟! هل تريد شيئاً ما يا شحتة؟

تعجبت بفرح، فربما هي مرنه الأولي التي يندديني بها باسمي "شحتة". .هذا غريب لقد تغير بشكل كبير. .لا اعرف السبب ولكن هذا جيد. .أنا سعيد بهذا بشكلً يلاحظ، حتى نظرت له بخجل وأجبت:

-لا. .لا شيء..

لم استطع أن أنسي هذا اليوم أبدا، اليوم الذي بدأتُ اعرف حقيقة جدي التي لم ألاحظها من قبل ربما كنتُ قاسياً عليه بقولي داخل نفسي:

- "ليس إلا أشيب خرف ومجنون، دائماً"

ربما كانت مشكلتي أني لم املك الشغف لمعرفته أكثر والتقرب إليه، وأيضاً لا أريد أن اقسي علي نفسي في نفس الوقت فأنا كنتُ املك كلُ ما أريد، اذاً لما أتقرب منه من الأساس. .عمتي وزوجها كانوا يكفوا. . اشعر بالاضطراب يتملكني.

لم نرجع إلى منزل جدي مباشرةً لا، بل رجعنا إلى منزل الذي أقيم فيه. .لم أتعجب وتوقعت هذا في نفس الوقت. .قولت في داخل نفسي اثنا صعودنا الدرج:

-"هذا متوقع سوف أنتقل إلى منزل جدي. .وعليّ أن أجهز أشيائي استعداداً للمغادرة. ."

انتهينا صعود الدرج وطلب مني كما هو متوقع ولكن بطريقة. .،ماذا نستطيع القول، نعم طريقة تدل علي خبرته في الحياة.

وضع يده علي كتفي وكاد أن يتكلم ولكنه غير وضعيته بعد لحظات. .حتى أنني شاهدت شفتيه التي كادت أن تتحرك، ولكن بدلاً من هذا نزل بركبتيه إمامي واضعاً كلتا يديه علي كتفاي مما ذكرني بعمتي ليلة النادي. .أصبحت في حاله من التعجب التام. .ماذا يفعل ؟! من هذا من الأساس ؟! كيف تغير فجاءه ؟!، توقفت عن الحديث داخل نفسي ولاحظت أنه بدء الكلام.

.يتكلم بصوت الوالد هذا عندما يريد إعطاء نصيحة التي في اغلب الحال لا قيمة لها. .نصيحة الأب لا قيمة لها نعم، فهي قديمة عفي عليها الزمن، وإذا صدقت اعرف أنها حظ ليست بأكثر، ففتح فاه قائلاً:

-لقد مررت بالكثير في وقتاً ضيق، عليك أن تعرف معني الحياة والذي هو أوقتا للحزن وأوقات أخري للفرح. .ولكي ينجوه المرء عليه أن يتقبل هذا كله. .أريد منك ألان أن تجهز أشيائك، من ألان وصاعداً سوف تنتقل للعيش معي..استرح أولا وبعدها نغادر هذا المنزل.

كانت ملامحي جامدة بشكلً واضح ليس بسبب بغضي له سابقاً ولكن بسبب تذكري أنه يمر بنفس ما أمر به ألان أو ربما أسوء. .،تحركت إلى غرفتي بعدما هززت له رأسي إيجابياً متفهماً. .بدأتُ بجمع أشيائي مستعيراً بحقيبة سفر عمتي الكبيرة.

انتهيت من جمع متعلقاتي وتفقدي لأرجاء المنزل الذي سوف افتقده كثيراً. .فهو المنزل الذي عشت فيه طفولتي وترعرعت فيه. .لم يضغط عليّ جدي لكي أسرع بسبب أنه متعب هو أيضاً وكان جالساً علي أريكة "تامر" المحببة لمشاهدة المباريات. .،توقفت لبضع اللحظات إمام غرفتهم مستنداً علي الباب قبل أن ابكي قليلاً محاولاً عدم لفت انتباه جدي. .حتى انتهيت لأجد جدي مستلقياً علي الأريكة وهو ربما في قيلولة، اقتربت منه محاولاً أن أفقيه حتى نجحت بلا صعوبات فهو لم ينم بشكل الكامل ولكن يريح جسده العجوز فقط.

من هنا بدأت حياتي مع جدي. .الحياة التي تحمل لي الكثير من الخفايا والأسرار عن أبي، وعن هوية والدتي. .كل شيء سوف يتم البوح به. .في اقرب وقت.

***

في مكان بعيد وغير ظاهر علي أي من الخرائط، احد الأماكن الغير واضحة. .مكان سوف يجمع إبطال قصتنا معاً. .

مستلقياً علي احد الشواطئ أمام احد المحيطات العجيبة من حيث لونها والذي يظهر أنه اصفر كالذهب أو ربما أنقي حتى منه. .،هذا الشخص يحدث نفسه في اضطراب شديد وكأنه في مناظرة مع شخصا أخر داخل عقله..،يقول بصوتٍ يكاد مسموع:

- مازال الوقت مبكراً تماماً لبدء الثورة مرة أخري، كل ما علينا فعله هو ألانتظار. .،يا "علام" لما بدأت كل هذا. .؟!لم يكونوا سعداء!!؟ حسناً الحياة ليست عادله هذا شيء معلوم عند الجميع..، ولكن لتبدأ ثورة قبل حوالي خمسة عشر عاماً وتفشل وتؤدي بموتك.. ومن ثمة أتي أنا لتعقد عليّ أمالك لتحرير هذا العالم من سجنه، هذا أمر صعب. .ولكن ما بوسعي فعلة فأنت في نهاية الأمر كبطل للرقيق. .تباً يا مسن ما كان عليك زرع فينا روح العادلة والمساواة هذه، لماذا لن تتركنا فقط لهلاكنا..

فقام الشاب الغريب هذا من جلسته ونظر لقرص الشمس ورفع يده في اتجاه وكأنه يحاول أن يمسك به:

-أنا أبنك شادن أقسم أني لن استسلم. .

***

الفصل الخامس

"ولادة"

أتممت الانتقال إلى منزل جدي. .،أتذكر صباح هذا اليوم، تقاسمنا الحقائب أنا وهو بعدما انتهيت من جرد حاجتي. .،أتذكر أني أخذت ثلاث من الحقائب واحدة كبيرة امسك بها جدي وأمسكت أنا بالاثنين الآخرين. .وبدأنا رحلتنا من إقليم سيناء الحديثة إلى إقليم وسط القاهرة القديم.

"الإقليم الذي عفة عنه الزمن وأصبح شبه مهجور". .أخذنا القطار الذي يعمل بقوة الدفع الهوائي الجديدة والتي تم تطويره مؤخرا. لا أتذكر بعدها ما حدث بالتحديد، لقد كنت شبه نائم لم أكن في كامل تركيزي. .لم يجري حديث بيني وبين جدي طوال هذا الوقت. .استيقظت بعدما لم أكمل حوالي نصف ساعة تقريبا.

التحقنا بحافلة وبعدها عربة أجرة. .وبعدها مشينا كثيراً ولاحظت إمساك جدي بيدي بقوة وكأنه يغشى من حدوث شيئاً ما لم افهمه. .طوال سيرنا لاحظت بعض الأشياء الغريبة وهي الشوارع الضيقة والتي يكثر فيها المهملات وأكثر ما لفت انتباهي هو وقوع عيناي علي احد صناديق القمامة الفارغة والتي يحيط به أقواما كبيرة من المهملات. .لم يكن هذا فقط ما

اخذ عيناي، لا بل هو الناس. .تشعر أنهم ليسوا علي ما يرام، تشعر أن هنالك خطباً ما فيما بينهم. .لا استطيع التحديد ما هو ولكن كل ما استطيع قوله أنهم في سجن محاطين بقضبان من الحزن تمنعهم من الشعور بالسعادة. .وكأنهم لا يردون العيش.

بدأتُ انظر إلى جدي بين الحين والأخر وعلي ملامحي الاضطراب من كل هذا، اعتقد أن جدي لاحظ نظراتي له ولكن لم يعرني انتباه. .وهذا جعلني أتسأل إذا ما كان يتوقع ردت فعلي هذه.

بدأتُ أتذكر أوقات ذهابي مع عمتي إلى جدي لتفقده مرتين في الشهر. .وبدأت أتسأل حينها كيف لم ألاحظ كل هذا. .لماذا أتحدث الآن من الأساس. .هل كرهي لجدي منعني من أن ألاحظ كل هذا. .؟!هل اهتمامي بحياتي مع عمتي كان مجرد عائق؟!، لا دعني أعيد صياغة الجملة "هل كانت عمتي مجرد عائق؟! ". .هذا قاسي قليلاً ولكن يقترب من المنطق الذي أشاهده الآن بأم عيناي.

ليست مسائلة طرق مختلفة إذا كنت تعتقد أني أراوغ في كلامي هذا، صدقني ليست مراوغة مني. .بل هي مسائلة أراده فقط، لم يري عقلي هذا لأنني وبكل بساطة لم اهتم به. .ولكن الآن انظر إلى حالي هذا، وكأنني كنتُ اعمي والآن أبصر.

وصلنا أخيرا بعد حوالي ربع ساعة تقريباً من المشي. .وكأنها المرة الأولي التي انظر فيها إلى هذا البيت برغم زيارتي له عدده مرات. .كيف لما ألاحظ كل

هذا. .كيف لما أتعرف علي البيت من الأساس، ما كان خطبي كل هذا الوقت..،تباً أشعر أني لستُ بخير.

***

بدأتُ أتذكر كلام عمتي كلثوم، عندما كانت مريضة بالبرد الشديد، كنتُ في الخامسة حينها تقريباً. .كنتُ اجلس بجانبها محولاً تحسين حالتها العكرة هذه، ومن ثمة وجهت لها سؤالاً لربما يجعلها ترغب في الحديث. .كان السؤال كما أتذكر تقريباً:

-عمتي، أين كنتِ تعشين قبل العيش هنا ؟!

نظرت إلى في تعجب، قائلة:

-شحتو، أنت لم تسأل من قبل !!لما تسأل الآن ؟!

ابتسمت لها قائلاً:

-فقط سؤال،فقط سؤال.

حتى حركت رأسها، متابعة بنبرة تعب:

-بالطبع تعرف منزل جدك التي نزوره كل شهر أو شهرين، كنتُ أعيش فيه أنا وأخي علام. .والدك. .كان منزل عائلة، كان وقتها منزل يدل علي الحياة ولم يكن هو فقط لا بل المنازل من حوله أيضا.

انتهت عمتي من الحديث ولاحظت عليها ملامح الابتسام بسبب تذكرها أيام الماضي. .وفرحت أنا الأخر بعدما ذهبت في النوم بعد هذا مباشرةً. .لم اهتم بما قالتهّ وقتها، كل ما اهتم به كان أن تتحسن.

***

كانت شقة مكونه من ثلاث غرف.. ومطبخ وحمام جميع الأشياء التي في كل بيت، كنتُ اعرف هذا ولكن كانت المرة الأولي التي أتجول فيها بين الغرف، كانت عمتي تطلب مني الجلوس بجانب جدي علي الأريكة فقط وعدم التحرك أبدا أثناء تحضيرها الأكل وترتيب المنزل . .،وقد حذرتني كثيراً من أن ادخل أو أحاول دخول غرفة أبي والتي هي مغلقة من الأساس، وهذا يدل أن هذه الغرفة تخفي الكثير من الأسرار.

وقف جدي بعدما دخلنا ووضعنا الحقائب في الداخل. . في وسط الشقة مشيراً إلى احد الغرف، قائلاً في صرامة:

-هذه هي غرفتك الآن، التي كانت غرفة عمتك في سابق. .

ثم اخذ نفساً وتحولت ملامحه التي شبه جامدة إلى ملامح حادة وصارمة بكل ذات المعني. .وأكمل:

-دعني أخبرك شيء شحتة، هنالك قانون في هذا المنزل وهو عدم لمس باب غرفة علام والدك أو دعني اقرب المعني أكثر. .يمنع الاقتراب من هذه ألغرفه..، هل فهمت؟!

لم أتعجب من أسلوب جدي المتهجم المتقلب كثيراً ولكن خفت بطبيعة الحال، ومن لا يخاف من جدة وبالأخص إذا ما كان يمر بنوبة من العصبية الشديدة. .هززت رأسي ايجابيا له بكل احترام وتقدير. .وحملت حقائبي

جميعها ولم اشعر بثقلها أبدا واتجهت إلى غرفة عمتي والتي تقع أمام غرفة عمتي مباشرةً.

وضعت حقائبي أرضا أم باب الغرفة، وتوقفت أمامها قبل أن امسك بالمقبض وافتحه. .وقفت أفكر وأفكر ولا اعرف بماذا أفكر من الأساس. .حتى انتبه جدي إلى وسألني إذا ما هنالك خطب ما..،وعلي الفور وفقت مع لحظات عدم الإدراك هذه، وأمسكت المقبض سريعاً وفتحت باب الغرفة.

كانت غرفة باهته اللون، بالكاد يظهر أن لونها كان تقريبا الأحمر. . ، وطبيعية مثل أي غرفة، ولكن لا توجد بها التقنيات الحديثة التي كانت في غرفتي . .سرير طبيعي، خزانة ملابس متوسطة الحجم والعرض. .،بعض الكتب المتهالكة هنا وهناك. .بالطبع تحتاج لتنظيف. .،ولم يمر الوقت حتى بدأت علي الفور بتجهيزها لتصبح كالجديدة. .واحتاج هذا الأمر مني إلى خمس ساعات من العمل المتواصل وسبعة بشكلً كامل. .بالطبع نداني جدي لكي أكل أكثر من مرة ولكن لم أذهب.

هذا كله ليس ذا قيمة علي الإطلاق، بل الأهم هو كتاب مذكرات عمتي الذي كان بين الكتب، والذي لاحظته صدفة بينما كنتُ أعيدُ تنظيم وتجميع الكتب علي احد الرفوف وكان بينهما. .في أول الأمر كانت لدي بعض الحيرة إذا كان من الخطاء قراءة مذكرات أحدا ما. .وفي نهاية الأمر قررت

أن أقراه واعرف ما فيهو الذي من الممكن أن يعطيني أي شيء بخصوص آبي والاهم منه. .وأمي الحقيقة.

لكن لا أريد قرأته الآن، فقد استسلمت لتعبي أخيرا بسبب ما فعلته طوال الخمس أو سبع ساعات الماضية. .استلقيت علي الأرض مستند الظهر علي جانب السرير.

بدأتُ احدث نفسي ولكن ليس داخلياً، لا بل بصوت مسموع بعدما أغلقت باب الغرفة، قائلاً في حزن:

-ما سبب كل هذا ؟! لا ليس سببه ما يهم بل متى. .متى بدأ كل هذا. .لماذا ماتت عمتي، لا بل لماذا مرضت عمتي من الأساس ؟!. .لماذا مات تامر بعدها، لا ليس هكذا.. فهو لم يمت بل اختار الموت. .هل اختار الموت لأجل عمتي واللحاق بها ؟!، لماذا في هذا الوقت؟! هل حقاً كما قال جدي أمام الشرطي انه لا يستطيع العيش بدونها. .هل نحن حقاً البشر من الممكن أن نختار الموت من اجل أحدا أخر. .لماذا حدث كل هذا في اقل من شهر.

بدأتُ امسك برأسي من كثرة الألم والصداع بسبب التفكير، وأصبحت فجأة اشعر بألم شديد لا استطيع تحديد مكانه أو سببه..، وأكملت صارخاً. .لدرجة إنني لم ألاحظ جدي الذي فتح باب الغرفة وهو ينظر إلى. .قائلاً دون ملامح محدده:

-هل انتهيت ؟!

بدأت اهدأ قليلاً قبل أن أجيب علي هذا الأشيب المنتصب أمامي الذي يخفي تعبه وألمه..،وقولت بنبرة تعب:

-لا استطيع النوم.

لم أكمل اللحظات حتى أجاب وهو يصطنع ملامح التعجب:

-ولما لا تستطيع النوم ؟!

نظرت له وأنا علي الأرض وأنا غاضب لا اعرف كيف أجيبه. .،ارتجلت ببعض الكلام وكأني مستسلم أمامه:

-"ولما لا تستطيع النوم"، هاااا..،ما بالك أنت بي.. أنا غير قادر علي النوم بسبب كل هذا أيها العجوز. .لدي مشاكل ,لدي هموم ,لدي أحزان. .ألاه تري ما حدث لي. .اخبرني كيف أنام بكل هذا. .لست مثلك ابتسم بالجمود الغريب هذا. .،هيا اخبرني كيف أنام بكل هذا.

كنت قد وصلت إلى مرحلة عدم الشعور بكلامي، حتى لاحظته يبتسم ساخراً مني قبل أن يجيب علي سؤالي:

-انظر شحتة، ينام الناس بسبب أحزانهم ومشاكلهم. وهمومهم أيضا وليس العكس كما تقول.

واقترب مني وأنا في حاله من البكاء وعدم الاتزان واضعاً يدهه علي كلتا كتفي، وأكمل:

- هل فهمت ما أحاول أخبارك به، نم. .فقط نم. .ما حدث لك حدث لي أنها ابنتي وتامر زوجها وقبلهم ابني. .لا تنسي ولكن فقط نم..

وتركني وأغلق الباب من خلفه.
وأنا في حاله من الذهول، أخيرا اعترف بموت ابنه أمامي. .علام ميت، لقد قالها. .أم لا هل قالها لكي يقلل من حزني. .ما هذا التصرف الغير متوقع، ما الذي تخفيه أو حتى تفكر فيه.

***

كان اليوم الأول مثل اليوم الثاني، دائرة لا نهاية لها. .نفس الفكر، نفس الفعل. .نفس كل شيء لا تغير، ابكي ليلاً وفي النهار لا اخرج من غرفتي إلا للضرورة أو احتياجي لشيء ما. .دائرة ثابتة لا يتغير فيها شيء معادا شغفي في قرأت مذكرات عمتي، في اليوم الأول كنت متعباَ أما اليوم الثاني انشغلت في البكاء والثالث نسيت من الأساس أنها معي.
مرت بضع الشهور لا يوجد بها أي شيئاً جديد. .،فقط شيء بسيط حول سلوك جدي ولقد لاحظته صدفة. .في احد الأيام ليلاً شعرت بالعطش الشديد فذهبت لشرب الماء حينها وجدت غرفة جدي غير مغلقة وهذا شيء علي غير عادته فهو صارم في مثل هذا الأشياء. .أتذكر أني في احد الأيام نسيت غلق باب غرفتي وحينها جاء إلى يسبني وأنا غير معتاد علي مثل هذا الكلام، أتذكر ما اخبرني به حينها وهو مشتعل من الغضب:
-انت أيها الغلام، لا تنسي إغلاق باب الغرفة. .هل فهمت ؟!فتى أحمق..
حينها خفت لم استطع الكلام تقبلت السب في هدوء وحذرت منه.

ليس هذا ما يهم، ما يهم هذا الليلة التي وجدت باب غرفة الأشيب غير مغلقة فذهبت لكي أغلقها بكل حذر حتى لا يلاحظني، نعم. .نعم بدأت أتذكر هذا اليوم بكل دقة، ألقيت نظرة بطرف عيني أليسري لأجده جالساً علي حافة السرير رافعاً ظهره ينظر في ألمراء والحمد لله انه لم يلاحظني حينها، كان يبكي بصوتٍ ضعيف مع همهما. .حتى بدء يحدث نفسه في قطعة الزجاج مع بكائه:

-لما بدء كل هذا الأمر يا علام، لما ذهبت حينها ولما أتيت مرة أخري ممسكاً بطفل ورحلت سريعاً..وأنت يا كلثوم لما لم تخبريني بمرضك، هل كنتِ تقصدين أم لا تعلمين فقط. .،لما فعلتم هذه بي. .هل تكنون الكره لي أم ماذا ؟!

وصمتُ وشعرت انه علي وشك الحراك بعدما بدء يتمالك نفسه قليلاً ويمسح قطرات دموعه، حينها تحركت إلى غرفتي علي الجانب الأخير من البيت وأغلقت باب الغرفة بهدوء حتى لا يلحظ شيء. .أتذكر إنني لم يأتيني نوم في هذه الليلة من كثرة التفكير في كلامه هذا.

بطبع كنت أنا الطفل الذي يقصده في كلامه ولكن ما الذي يقصده في رحيل أبي وعودته ورحيله مرة أخري حقاً هذا غريب ما الذي يحدث أو لا ليس هكذا بل ما الذي حدث. .أين كان أبي ؟!، نعم هذا "أين كان أبي وماذا كان يفعل" لماذا هذا السر، لماذا لم ترد عمتي الإفصاح عنه برغم أن من حقي أن اعلم وحتى إذا لم اهتم. .كان لابد أن تخبرني.

***

مرت بضع السنوات وأصبحت في التاسعة عشر تقريباً. .،نعم اعرف أنها قفزة كبيرة ولكن لا تقلق سوف أخبرك بكل ما حدث معي. .أول شيء علاقتي مع جدي لم تتطور بل بدأت اعتقد انه أصبح يخرف مثل باقي العجائز حتى انه بدء باستخدام الكرسي المتحرك قديم طراز هذا رغم إنني أخبرته عديد المرات أن يشتري الأحدث والذي يوجد فيه الكثير من الإمكانيات من أهما قياس ضغط الدم وضربات القلب حتى لا تحدث مشكلة ولكنه كان يرفض دائماً حتى أنني فكرت أن أدمر هذا الكرسي حتى أرغمه علي شراء واحداً جديد ولكني كنت أتراجع دائماً.

كان هذا الأول، أما الثاني هو انتقالي إلى جامعة حلوان لدراسة قسم الرياضيات..وكانت هنا اكبر المفاجئات التي حدث في حياتي وهي عدم استخدام الشرائح الإلكترونية الحديثة، كانت صدمة ولم تكن الأولي بل النظام الغريب الذي يتبع في مثل هذه الجامعات مثل استخدام الدرجات لإلزام الحضور ومثل هذه، وأيضا استخدام الأقلام التي عفي عنها الزمن في الكتابة . .،كانت صدمه وحتى لا انسي شيء أخر وهو شكل الطلاب أو الذين معي في الجامعة، لم يكونوا طبيعيين، أسلوبهم يختلف من شخص لأخر. .كنتُ اعتقد أن تفكير البشر قريب من بعضه ولكن هنالك مسافات كبيره،حتى ملابسهم الغربية وكثرة عددهم لدرجة أن في مكان دراستي يوجد به أكثر من ثلاثة الآلف طالب، تجد بينهم الإخوة وتوأم وكل ما

تستطيع أن تلاحظه. .كان صعب عليّ التأقلم علي هذا لولا صديقي الأول الذي اعترف به "مراد عزمي" الشخص الذي يهابه الجميع بسبب نفوذ أبيه الذي يعمل في الشرطة، كان أول من تقرب إلي.. وكان لقائنا طبيعي علي ما أتذكر.

كنت اجلس في يومي الأول في الجامعة في وقت الاستراحة بين المحاضرات أشاهد المشاجرات بين زملائي واندب حظي وقدري هذا، حتى وجدته الفتي الغريب "مراد" وبدأت ادقق انظر أليه في تعجب وأنا أقول داخل نفسي في حيرة:

-لما لا يشبهم هذا الفتي ؟!

وفجأة وجدته يلتفت إلى في تعجب قائلاً:

-أنت لست من هنا، أنت لا تشبهم. .أنت مثلي أنا ، هل هذا صحيح ؟!

نظرت له قبل أن أجيب قائلاً:

-لقد انتقلت إلى هنا حديثاً ليس حديثاً بمعني الكلمة ولكن أنا لست من هنا، وماذا عنك ؟!

أجابني مراد في فرح:

-نعم وأنا أيضا. .ما اسمك ؟!

أجابته قائلاً في فرح أنا الأخر:

-ادعي شحتة، ماذا عنك ؟!

اخذ يبتسم محاولاً أن يخفي ضحكه بسبب اسمي، وأجباني معتذراً عن وقاحته:

-ادعي مراد، سررت بمعرفتك

وهنا تبدلنا التصافح فيما بيننا.

***

في احد الأيام رجعت غاضباً من الجامعة، غاضباً بشدة، رميت حقيبتي وذهبت إلى غرفتي محاولاً النوم، محاولاً أن انسي ما حدث إلى وسيما أنها المرة الأولي التي يحدث لي مثل هذا، لقد طردتُ من المحاضرة بسبب مجيئ متأخرا. .أحاول النوم ولكن حديث الأشيب المجنون مع نفسه حول السفينة يتكرر مرة آخري كما جرت العادة في الشهور القليلة التي مرت، كان كلامه غريباً يفتقر للتشابك:

-لقد، نعم لقد أخبرتك وأنت لم تصدقني. .لم يجب عليك أن تذهب مع أصدقائك بسفينة. .أخبرتك، أخبرتك. .،أحمق يا علام. .ولكنك فعلتها..

وتوقف لبضع الدقائق لكي يبكي قبل أن يعيد حديثه المجنون مع نفسه مرة أخري، اعتقد أنها مرحلة الهلوسة عند العجائز، كل مرة اسمعه يهلوس هكذا أضع السماعات حتى لا اسمعه، ولكن هذا اليوم قمت بملابسي التي يملئها العرق واقفاً أمامه منتصباً بغضبٍ عارم، قائلاً له بنبرة من الخشونة:

-أيها الأشيب، ما هذه السفينة..

فور قولت هذا وجدته يرفع رأسه لي وهو متلهف، شعرت بشعور غريب. .، قبل أن أتابع..نعم كانت المرة الأولي لي أجده مثل، مثل العائد من الموت. .وكان كلامي هذا أعاده للحياة:

-ما هذه السفينة التي تتحدث عنها طوال الوقت. .قل ما لديك

وفي لحظة لم أدرك به وجدت نفسي أقول:

-ما قصة أبي، هل هو ميت أم ماذا، لقد مللت منك أنت وعمتي والجميع . .اخبروني ما الذي تخفونه عني طوال هذه المدة.

وصمتتُ فوراً وأنا اعرف أني فتحت علي عاتقي أبواب الجحيم كلها. .،حينها وجدت جدي يقوم عن كرسيه يتجه ناحيتي بكلتا قديمه الضعيفتان، وينظر إلى واضعاً كلتا يديه علي وجهي وعليه ملامح السعادة التي أول مرة أجدها عليها منذ أن وعيت علي دنيا. .انه فرح وكأنه ينتظر هذه اللحظة من مدة كبيرة.

قبل أن يركلني برجله، ركلة قوية أسقطتني علي الأرض فوراً وكأنه عاد أربعين عاماً إلى الوراء. .قبل أن يشير بيده لكي اتبعه دون قول أي كلمات. .ألي غرفة أبي "علام"، بالكاد استطيع الحراك رغم عدم شعوري بالأم فأنا علي وشك معرفة كل شيء الآن. .اخرج جدي سلسة من عنقه في وسطها مفتاح، وكان المفتاح لغرفة آبي. .اخرج وفتح باب الجحيم هذا أخيرا بعد طول انتظار. .اقتربت من جدي حتى وجدته يشير علي احد الرسومات قائلاً وهو يبكي سعيداً:

-هذا هو مصير والدك والذي سوف يصبح مصيرك ألان، طالما طلبت مني أن أخبرك.

***

الفصل السادس

"قيمة إنسان"

علي لسان مراد عزمي..

ادُعي مراد أعيش مع أبي وجدتي بعدما توفيت والدتي في سنٍ صغير، أكاد لا أتذكر شيئا عنها. .نسكن في إحدى المقاطعات في جنوب سيناء. .، حياة بسيطة أو بشكل أكثر دقة. .حياة عادية مثل باقي الناس، ولكن لدينا مشكلة واحدة وهي ما تدعى في عصرنا الحالس إلى بـ"صلة الدين" التي تعود لأبي وأمي كما سيتضح. . بالطبع لا تعرفون ما اقصده حسنا دعوني أوضح لأنها مشكله في أيامنا التي نعيش فيها. .فهي تصل إلى جريمة يعاقب عليه القانون وقد تصل إن تعدم. .فنحن في عصر يرفض مثل هذه الأشياء ولا يتقبلها، بعدما نشأت حرب منذ أكثر من مائه وخمسون سنة...

***

في أحد أيام الشتاء جلستُ أفكر في غرفتي بعدما سمعتُ في المدرسة عن طالب تم طرده بسبب صلة عائلته بأحد الأديان. .سمعت هذا الخبر بعدما تناقل بين زملائي ولكن رفضتّ المدرسة الاعتراف بهذا وقالوا انه انتقل إلى مدرسة أخري بسبب ظروف عمل والده. .لم اعرف من اصدق، طرد أم

انتقل. .لا اعرف ولكن كان لدي شغفاً لأعرف ما هي صلة دين هذه..،ماذا تعني. .لم اسمع عنها من قبل، حتى قررت إن أسأل أحد المعلمين بعدما رفض أصدقائي إخباري أو بمعني أخر قد تهربوا من الإجابة خوفاً من عائلتهم أو حتى خوفاً من إن يطردوا مثل هذا الطالب.

توجهت إلى المعلم والشغف يملئني حتى طرحت السؤال كما أتذكر وقتها:

-يا معلم، لدي سؤال ؟!

وجدتُ علي نظراته السعادة، بكل تأكيد. .فلا أحد يحتاجهم قي أيامنا هذه، نعتمد علي شريحة الذكاء الاصطناعية والتي لديها الكفاءة والحق بأخذ مكانتهم. .فهي أدق من إجابة مائة معلم، لنرجع إلى موضوعنا. .أتذكر انه كان خبيراً للغة العربية علي ما أتعقد. .أشار برأسه بفرح لكي أكمل:

-معلمي، ما هي صلة الدين ؟!

وفي لحظة تبدلت نظراته وملامحه إلى العبوس الكامل وكأنه أصبح منزعجاً بشدة. .لم أتوقع رده فعله هذه، لم افهم. .ماذا فعلت من الأساس ؟! هل قولت شيئاً خطأً ؟!لا. .لا اعتقد هذا، انه أمراً أخر. .أمراً اكبر مني. .نظر إلى بأطراف أعينه وكأنه لم يرد إن ينظر إلى من الأساس. .قبل إن يتحدث بنبرة خشنة وعصبيه:

-أين سمعت بهذا، أيها الولد ؟!

بصعوبة ابتلعت ريقي من شدة الخوف. .لم يجب عليّ إن أسال من الأساس،حتى أجبته بحذر شديد وكلي تركيز علي كل حرف علي وشك إن يخرج من فمي في هذه اللحظة:

-من، من أصدقائي يا معلم. .هل هنالك خطب ما ؟!

تغيرت ملامحه قليلاً وكأنه هدئ قبل إن يكمل علي عجلة:

-انظر يا. .،ما هو اسمك ؟!

أجبته علي الفور، بخوف وتلعثم:

-مو..مو..مُراد...، مراد يا معلم.

هبط إلى بركبتيه ، ونظراته توحي بأنه ليس إلا شيطاناً علي وشك إن يظهر بكامل هيئته الآن وأكمل. .قائلاً:

-انظر مراد، لما لا نعقد اتفاقاً صغيراً فيما بيننا. .، ما رأيك ؟!

هززت رأسي إيجابياً مشيراً بنعم حتى يتابع:

-أنت لم تسمع هذه الجملة. .ما رأيك؟!، حسناً. .فقط انسي ما سمعته وأنا سوف أنسي سؤالك هذا. .هل فهمت، أقصد هل اتفاقنا ؟!

هززت رأسي إيجابيا مرة أخري وأنا علي وشك إن ابلل سروالي من الخوف ونظر إليه وهالته الغاضبة التي ملئت محيطنا، قبل إن أرجع بضع خطوات مبتعداً عنه وعلي الفور بدأتُ الركض. .،اركض وأنا خائف. .،اركض وكلي شغف لمعرفة ما هي "صلة الدين هذه"، رغم خوفي هذا.. إلا انه زادني إصرارا وشغفاً لأعرف.

***

مررتُ أثناء عودتي من المدرسة بأحد المكتبات الالكترونية بعدما تفقدت شريحة الذكاء الاصطناعية التي تسكن داخل راسي لمعرفة أي شيء عن "صلة الدين" ولكن لم أجد أي شيء وحتى المكتبة علي نفس الحال، لم اعرف ماذا افعل ؟!، مررتُ علي معظم أصدقائي أترجاهم لكي يخبروني ولكن يرفضون إخباري. .،ليس لأنهم لا يريدون ولكن بسبب خوفهم من شيئاً ما قد أوضحته سابقاً، هذا واضح علي ملامحهم المضطربة بشدة. .مللتُ من كل هذا قررتُ إن أمشي بين الشوارع والجلوس علي الأرصفة لأطعم القطط وأنا أفكر بعمق بماذا عليّ إن افعل. .أفكر ما هو السر الذي يجعل الناس خائفين هكذا، لما الجميع كتوم حول هذا الأمر. .بالطبع هنالك خطب ما سوف اكتشفه. .لن استسلم.

جاء الليل سريعاً وأنا لم اشعر بمرور الوقت، قولتُ وداعاً للقطط بعدما أطعمتهم وتركت لهم بعض الماء. .،ورجعت إلى المنزل. لحسن الحظ لم يرجع أبي من عملة بعد. .،وجدتي نائمة كالمعتاد علي الأريكة، أخذت حماماً سريعاً محاولاً نسيان ما صار اليوم وتصفية ذهني وقمع شغفي ولو قليلاً، جلست في غرفتي.

أردت إن اطرح هذا السؤال لجدتي. . فهي عجوز قد عاشت كثيراً.. أعتقد أنها تعرف شيئا عن هذا الأمر..ولكن كنتُ أقاوم في داخلي، فهي علي حد علمي عجوز تخرف فقط. .تتحدث مع نفسها أحيانا وأحيانا تحضر

الطعام ولا تأكله إلا في وقتٍ أخر وأوقات أخرى أجدها تنظر إلى سماء وتحدث السقف علي ما أعتقد . .هذه الأفعال تدل علي الجنون، أليست كذلك ؟!

برغم من هذا وجدتُ نفسي خارجاً من باب الغرفة متجهاً إليها، نعم لقد أصبحت يائسا أريد المعرفة فقط..ذهبت ووجهتُ لها السؤال الذي لم أجد له إجابة. .فعلتُ هذا لإرضاء ضميري لكي أنام وأنا مرتاح البال.

بدأتُ محاولاً أيقظها من نومها الذي يستغرق طوال اليوم، حتى نجحت في إيقاظها أخيرا. .بدأت تفتح أعينها تحاول معرفة من أمامها، قائلةً وأثار النوم على جفنيها واضحان:

-من. .عزمي؟!

قولت لها ضاحكاً بعدما أحضرت لها نظراتها قديمة الطراز هذه:

-لا يا جدتي أنا مراد، هل أيقظتك أم ماذا ؟!

نظرت إلى وكأنها تريد ضربي، قبل إن تتحدث بسخرية:

-أيقظتني؟! أيها الطفل. .ماذا تريد ؟! هنالك طعام وأبيك سوف يتأخر، ماذا هناك. .لماذا أيقظتني ؟!

حاولت إن لا اظهر ابتسامتي قبل إن اجلس بجوارها فنحن نملك علاقة غريبة قد تصل إن نسب بعضنا البعض ضاحكين. .لم التفت لها وأنا بجوارها وعلي وشك سؤالها بملامح جامدة وجادة قليلاً:

-جدتي، لدي سؤالاً اطرحه لكي. .

التفتت إلى واناً إلى الآن لم التفت. .،وأكملت قائلاً دون نظر في وجهها خائفاً من رد فعلها هي الأخرى مثل المعلم صباح اليوم في المدرسة:

-ما هي صلة الدين؟!

***

حتى ملامح جدتي لم تختلف كثيراً عن ملامح المعلم الذي وجهتُ له نفس السؤال ولكن رغم هذا كنتُ علي يقين إن جدتي سوف تخبرني الإجابة التي انتظرها بفارغ الصبر حقاً.، لم تخذلني صارحتاً .وبعد لحظات تغيرت ملامحها من العبوس والتعجب إلى ابتسامة نادرة ما تظهر عليها في هذا السن. .إلا في أوقات سبها لي أو لأبي. .وجدتها تضع يدها فوق رأسي وقبلها نظرت إلى سقف، قبل إن تبدأ قصتها التي تستعد لسردها الآن. .،قالت بنبرة حنونة تبتسم بالهدوء.

علي لسان الجدة..

ما هي صلة الدين ؟ها!! توقعت إن تسأل في أي وقت ولكن ليس من المفترض إن يتوجه السؤال لي أنا بل لأمك أو حتى أبيك. .حسناً ما باليد حيلة فلقد توفيت أثناء ولادتك في سنّ صغير وأنت نادر الحديث مع والدك، أتفهم هذا. .حسناً قد فهمتُ. .،أنها مسؤوليتي.

انظر مراد، ما أنا علي شك قوله خطير للغاية وأظن انك علي وشك معرفة شيئا لم يقوله احد لك من قبل. .معلميك أو حتى أصدقائك المقربين، شيئا لم يعد منتشر بين الناس في هذه الأيام. .،لذا ركز واستمع جيداً..

أنت درست التاريخ. .أليس كذلك. .تعرف إن هنالك حرب عالمية أولي وحرب عالمية ثانية. .أليس هذا ما أخبروك به في المدرسة. .انسي هذا كله ليس صحيحاً. .واستمع إلى بحذر دون إن تقاطعني، فهمت ؟!

هنالك حرب قبل الحرب العالمية الأولي والثانية مما يغير الترتيب لتصبح الحرب العالمية الأولي ثم الثانية ومن ثم الثالثة التي ليست ببعيد مثلهما. .لا تهتم بالحرب الأولى وثانيه ولكن أخبرتك لكي تعرف إن معظم التاريخ مشوه أو ربما قد نُسيّ وتلاشي مع مرور الزمن، ولا تنسى إن تاريخ يكتب بواسطة الفائز فقط بوجهة نظره، وينسيّ الناس الخاسر أو كما يقولون عليه "الحلقة الأضعف".

الحرب العالمية الثالثة التي بدأ كل شيء من عندها بأخذ منحني أخر تماما. .تعرف مراد، أنها قامت بين معظم الدول ذات السلطة بسبب حال الاقتصاد. .،والنزعات الداخلية. .جنون السلطة واهما هو قلة المساحة والموارد. .هذه الحرب كانت غريبة بعض الشيء، فلقد كنتُ طفلة حينما بدأت. .جن جنون العالم فجاءه أو بمعني أكثر دقة

"جُن جنون البشر علي بعضهم البعض وأصبحوا كالخنازير وهم يأكلون لحم نفس جنسهم"

يريدون كل شيء دون تفكير، دون منطقية. .اخبرني آبي ذات مرة إن بداية هذه الحرب كانت في دولة تدعي مصر وصدق إذا أخبرتك أنها الاسم الذي يجمع أقاليم منطقتنا حالياً. .،لم ويذكر كيف بدء الأمر بسببها ولكن

تقريباً بسبب أنها اكتشفت شيئاً ما يجعلها اعلي شأناً عن باقي الدول وهو الذي لم يذكر وتم محوه من سجلات التاريخ. .لم يعلم احد إلى لحظتنا هذه ما الذي وجدوه وتسبب في كل هذا. .ولكنه شيئاً قد جعل العالم كله في حاله من الاضطراب .

بدأت التحالفات بين الدول وبعضها ومن يريد هذا ومن يريد هذا. .من يريد الإطاحة بذاك رغم انه ليس طرف من الأساس ولكنه يرى أنه فرصة لا بأس بها..كان الأمر مجنوناً. .كانت مصر هذه هي شعلة الحرب التي غيرت الكثير ، ربما ترّ بعض الاضطرابات في حديثي وهذا لأني لا أتذكر بعض الأشياء والباقي بسبب انه لم يذكر من الأساس.

انتهت الحرب بعد حوالي عشرة أعوام في باريس التي هي عاصمة فرنسا في أوروبا قبل إن تنقسم إلى مقاطعات كما حال الدول التي شاركت جميعها في هذه الحرب..قرر إلغاء نظام الدول وتقسيمها إلى مقاطعات لها حكم مستقبل حتى تضعف وتصبح راكدة مثل مياه الأنهار.. والقليل فقط من الدول استمرت علي حالتها. .كانت هذه نهاية الحرب وبداية حرب أخري باردة بين الجميع، تقريباً بعد ثلاثة أعوام من نهاية الحرب. .بدأت حرب أخرى باردة تم محوها من التاريخ بشكل كأمل ولا يعرفها إلا القليلين حالياً. .هذه الحرب الباردة ليس سببها الاقتصاد وهذا الكلام مثل السابقة لا بل بسبب المعتقدات والأفكار.

الحرب الباردة هذه لم تكمل الأربع سنوات كانت داخلية بين المقاطعات والدول..، شبه صراعات بين الناس وبعضها انتهت بتجريم هذه الأفكار ألمسماه بالدين في عالمنا بسبب كثرة مشكلها، لم يقبل معظم الناس بهذا لتبدأ حملة عالمية لكي تُبدهم من علي وجه الأرض. .وإذا كنت تتعجب من كلمة أباده فهي كلمة بسيطة مقارنتهم بما كانوا يفعلون في هذه الحرب. .يقتلون بعضهم البعض رغم إن دينهم يرفض هذا. .انتهي الأمر بموت أكثر من ربع سكان الأرض فقط في ثلاث أو أربع سنوات إلا إن انتهي الأمر.

***

مراد

انتهت جدتي من حديثها وأنا في حالة من الاضطراب الذي أدي إلى ذهابي للفراش دون قول أي كلمات. .شعرت ولأول مرة بكرهي الشديد اتجاه البشر، شعرت وكأني أريد قتلهم جميعاً. .اشمئزاز وحزن يصعب وصفهما. .أفكر دون إن يأتيني نوم. .لأقوم فجاءه لأذهب لجدتي مرة أخري ومن حسن الحظ أنها لم تنم بعد. .وقفت أمامها وأنا شاحب الوجه قائلاً في تعاسة:

-هل نحن علي صلة بالدين ؟!

وجدتها ترفع رأسها لي قائلا بكل فخر:

-نعم، نحن علي صلة بالدين.

توقعت هذا. .ليس بالعجيب فلقد كنتُ أري أبي في بعض الليالي يقرأ في احد الكتب وهو جالس بصوت خفيف مغلقاً النوافذ. .كنتُ أتعجب من هذا عندما كان ينسي إغلاق باب غرفته خاشياً إن يرّه احد أو بتحديد أنا. .ولكن لماذا. .انأ ابنه، لماذا اخفي هذا الأمر عني طوال حياتي.

جلستُ علي الأرض لبضع اللحظات لكي أتدارك الأمر ناظراً إلى جدتي التي تغيرت ملامح وجهها مرة أخري رغماً من انتهاء الأمر.. وهذا جعلني في ضيق قليلاً. .قبل إن اسألها مجدداً بنبرة فيها نوعاً من السخرية:

-لماذا لم يخبرني أبي، أليس لي الحق بعرفة ما حدث. .ها لماذا. .هل تخافون من إن تمتون بسببي أنا. .أم ماذا. .؟؟!

أكملت غاضباً:

-نحن علي صلة بالدين رغم حدوث كل هذا، ما السبب.. ؟

هذه الإثناء قطعتني جدتي التي كانت تحاول منذ بداية حديثي، قائلة:

-لأن أمك ماتت بسبب هذا.

***

من الصعبِ شرح ردتّ فعلي بعدما أخبرتني جدتي. .، فقط استطيع القول أنها نزلت كالصاعقة هذا أقل شيء من سهل وصفه دون مبالغة. كنتُ بالطبع اعرف إن والدتي ماتت إثناء ولادتي ولكن لم اعرف التفاصيل أبدا أو إني لم اسأل من الأساس. .صمتُ لبضع اللحظات أمام جدتي التي لم تقدر علي رفع وجهها إلى. .،اعتقد أنها لم تقدر علي رؤيتي بهذه الحالة.

بدأتُ أفكر بطبيعة الحال عن علاقة أمي بصلة الدين هذه. .ووجدتُ نفسي تلقائياً اسأل جدتي قائلاً:

-ما الذي تقولينه الجميع يعرف أنها ماتت أثناء ولادتي. .ما معني كلامك ؟!

ردتّ عليّ علي الفور دون تحريك رأسها:

-نعم، ماتت أثناء ولادتك بسبب رفض الطبيب أجرأ الجراحة لها يوم الولادة.

وحل الصمت. .، لم تكمل وكأني سوف أكمل وحدي. .زاد غضبي أكثر وأكثر مع تعجبي الذي يزداد مع مرور الوقت. .حتى صرخت قائلاً:

-كفي عبثاً معي أيتها الشمطاء العجوز. .ما الذي تتفوهين به، كيف تجرئين علي قول هذه الكلمات..أنت تهزين.

كان في جعبتي الكثير من الكلام السيئ لكي أقوله لها ولكن فجاءه دون وعي وجدت نفسي اضرب الأرض بقوة وأنا اصرخ سباً دون إن اعرف من اسبهُ. .وجدتُ نفسي ابكي أثناء كل هذا. .لم أكمل دقيقة لأجد جدتي تضع يدها علي كتفي قائلة:

-لا بأس. .استرح لبضع اللحظات، سوف أجيب علي جميع أسألتك.

نظرتُ لها وهي تحدثني وعليها اثأر البكاء وحينها عرفت أنها تتألم أيضا علي فقدان زوجت ابنها. .،الدقائق العشر القادمة كانت صامته دون رد فعل. .فقط جلسنا في غرفتي وأمامنا قهوة ننظر إلى بعضنا دون تحريك أفواهنا،

حينها قررت إن ابدأ الكلام مرة أخري. .قبل إن أجد جدتي تنظر إلى قائلة في تعجب:

-أنت غريب مراد، لما لم تسألني كيف بدأت الحرب الباردة بين البشر ؟!كل ما أخبرت به أنها بسبب الدين لكن لم أخبرك تفاصيل..

نظرتُ إليها في قلة حيلة، فلقد كنتُ اعرف أنها لا تعلم كيف بدأت. .هذه واضح في حديثها المليء بالاضطرابات حتى قبلها عندما كانت تتحدث عن الحرب العالمية الثالثة. .ولكن أجبت علي سؤلها غير مبالياً:

-لا اهتم إن اعرف كيف بدأت. .الأهم أنها قد حدثت وأظهرت هذا الجانب الوحشي لدى البشر..

قبل أن اصمت لبضع اللحظات مرادفاً:

-كل ما اهتم به هو أمي، كيف ماتت أمي. .اخبريني،جدتي ؟!

ضمتني إلى ذارعيها لأتخذ نفساً قبل إن تبدأ الحديث:

-والدتك كانت علي صلة بالدين بعدما نجحت في أقنعها دون أي أساليب تجبرها. .علي عكس والدك لم يكن علي صلة بالدين ورفض إن يستمع لي . .وبرغم من هذا كله لم يؤثر علي علاقتهما أبدا رغم وجود بعض التعقيدات بالطبع، تقبل والدك الأمر بعد إن أفصحت لهُ بهذا. .كانت تخفي الأمر مثل أي احد يخاف إن يعامل بسوء ورفض أو يصل إلى الموت أحيانا، نجحت علاقتهما الفريدة والغريبة بسببك أنت. .لقد كانوا ينتظروك بفارغ الصبر

وحينما اقتربت من المجيء شعرت أمك بالمرض وذهبت إلى المشفى وحدث الذي لم يتوقعه احد.

-كانت أمك راقدة علي السرير تصلي إلى الخالق ويجلس بجانبها والدك لكي يسمع احد الأطباء ويهددهما إن يرحلوا قبل إن يفضح أمرهما أو بشكل التحديد أمرها هي فقط. .غضب والدك وكاد إن يحدث عراك كبير لولا حالتها السيئة. .نقلنها إلى البيت وتوليت الاعتناء بها وللأسف لم يزد الأمر إلى سوءاً فقط. .في هذه الأثناء لم يجد والدك أي مشفى قريب بسبب بُعد المسافة وانتشار احد الفيروسات التي تُصيب النساء فقط. .أظن انك تعرف بأمر هذه المرض الذي وإلى يومنا هذا ليس له أي علاج. .وبعد محاولات كثيرة من قبل والدك وجد احد الأطباء أثناء قيمه بدورية مع فرقته ليلاً..ليرّ حالتها ويضعهما بين خيارين وهما أكمال مدة الحمل وهذا يضع حياتها في خطر أو عملية الإجهاد وتنسي إن تحمل مرة أخري. .رفضت الأمر وأصرت علي إكمال مدة الحمل رغم ضغط والدك عليها. .ولكن ما حدث قد حدث وأنت أتيت في نهاية الأمر .

بعدها درس والدك التاريخ كله وبعدها درس الأديان واختار واحداً بسبب تمسكهُ إن يقابلها في الحياة الأخرى التي كانت دائماً تحدثه عنها كما كنتُ افعل أنا أيضا، ولكن استمع لها في نهاية الأمر، الحب مراد، ليس إلا دواء يكسر عناد العقل ويفقده معتقداته الخاصة. .أتذكر أخر كلماتها عندما طلبت مني إن أخبرك بهذه الجملة:

"الدين هو الشيء الوحيد الذي يعطي الإنسان قيمة، الدين يا مراد هو وحدة قياس الإنسان للخير والشر ولا شيء أخر"

***

بعد هذا اليوم بالتحديد بدأت اكره حياتي وبدأت اكره البشر وتمنيت إن ابقي في مكاناً وحيد رغم صعوبة الأمر. .ولكن القدر الذي جمعني مع شحتة له رأي أخر تماما "بحر الذهب" المكان الذي غير وجهت نظري بأكملها.

***

الفصل السابع

"شحتة وما وراء الحقيقة"

تحركتُ في غير أتزان، لأقف بجانب جدي أمام باب غرفة "علام". .ننظر إلى بعضنا البعض بنظرات تحدي. .،أنا من ناحيتي لا اعرف لما انظر له ولكن وبكل تأكيد اعرف لما ينظر لي بهذا الشكل. .فلقد انتصر عليّ في نهاية الأمر، لقد نجح في أن يزرع في الشغف لمعرفة هوية والدي وماضية . .ملامح الأشيب قد تغيرت وكأنه رجع خمسين عاماً للوراء بجانب حركته وركلي قبل لحظات..والتي تأتي تأكيداً علي أن ركلته لي ليست بمحل صدفة.

اخرج قلادة من حول عنقه، قلادة كان يحاول أن يخفيها دائماً وكأنه يعيش لحراستها. .قلادة تحتوي علي مفتاح وصورة لعمتي وصورة لشخصاً أخر أرجح انه أبي. .لم ادقق النظر فيها لقد وجهت كامل تركيزي علي المفتاح الذي علي وشك أن يفتح به باب غرفة الأسرار، بدأت بعض الذكريات تتغلغل داخل ذهني من شدة هذياني وحيرتي علي ما أنا علي وشك أن أر واعرفه. .تذكرتُ حديثي مع عمتي في أحد المرات عندما كنتُ في الخامسة حول "هل أنت أمي". .كنتُ صغيراً وكنتُ أظن أن "كلثوم" هي أمي قبل أن أستمع لحديث لها قد دار مع جدي في أحد المرات التي ذهبنا فيها لتفقده

واستمعت لشجار قد صار فيما بينهما والذي جاء فيه أني ربما لست أبن كلثوم..

ذهبت لها في أحد المرات بعدما عدنا للمنزل بالطبع.، قائلاً بتوتر واضطراب بعدما خفضتُ رأسي لكي لا أر ملامحها بعد سؤالي:

-أنت أمي صحيح؟

مرت بضع لحظات هي الأصعب في حياتي التي لم تكمل السادسة أو السابعة في هذا الوقت علي ما تذكر تقريباً..،مر الوقت حتى رفعتُ رأسي لها لأجد ابتسامة خفيفة علي وشك أن يُصاحبها بعض الضحك المكتوم، رد فعل لم أتوقعها أبدا. .حسبت أنها علي وشك الغضب والصراخ عليّ، ولكن لا يصل الأمر للابتسام فجأة، فوجدتها تضع يدها علي شعري الناعم قائله في هدوء:

-إذا لقد استمعت لحديثي مع جدك هذا اليوم. .

ثم توقفت عن الحديث قبل أن تردف هي قائله:

-لا اعرف ماذا أقول لك ولكن هذا صحيح. .

قبل أن تتوقف مرة أخري ودموعها علي وشك أن تشق طريقها وهي بالكاد تحاول التماسك لتتابع:

-نعم شحتو، أنا لستُ والدتك بل عمتك. .أنا أسفه علي عدم إخبارك كل هذا الوقت ولكن فقط لم. .

انهارت وهي تحاول القول "لم استطع"..

***

كانت بداية القدر معي.. اللعبة التي سوف تغير حياتي أنا وبعض الأصدقاء برفقتي. .كأن كل شيء مرتب، حديث عمتي وجدي. .عندما اخبراها بالنص علي ما أتذكر في هذا اليوم

"لم يصبح صغيراً عليه أن يعرف انكِ لستِ بأمه.. "

الشعور بعدم الراحة والاضطراب في داخلي. .حتى كلام جدي معي عن هذه السفينة الغربية وان أبي يقودها الآن وهو ما يزال علي قيد الحياة،قدرتي علي السباحة بشكل عجيب، مشكلتي مع الصيف والحرارة المرتفعة نعم كل شيء كان له سبب وأنا الآن علي وشك معرفته. .، نعم بكل الحق..كان كل شيء مرتب لمعرفة ماضي أبي أو ما شابه. بدأت محاولات مع عمتي لمعرفة هوية أمي الحقيقة التي كانت كل همي حينها. .ولكن كانت ترفض عمتي إخباري أو ربما هي لم تكن حقا تعرف من هي أمي لا استطيع أن اجزم. .لم يكن لدي الشغف لمعرفة من هي ولكن فقط أريد أن اعرف رغم أنها لم تؤثر عليّ. .فأنا أحب عمتي وسأكمل حياتي معها..حتى إذا ظهرت والدتي من العدم سوف أعيش مع والدتي كلثوم إلى نهاية.

***

ها أنا الآن أقف أمام غرفة الأسرار وأنا خائف أو لا بل سعيد. .لستُ سعيد بل متشوق، أو ربما لستُ متشوق بل حائر، لا اعرف لا استطيع تحديد

مشاعري. .أشاهد جدي علي وشك أن ينهي لعبة القدر هذه التي استعدت كل هذا الوقت لهذه اللحظة دون أي شك.

ينظر إلىّ جدي وأبدله النظر أنا الأخر دون أن اعلم السبب ولكن كما قولت إني اعلم سببه هو، فلقد انتصر في نهاية الأمر. .زرع في الشغف لأعرف سر السفينة وسر ابنه، نعم أنها نظرات الانتصار وهو يستحقها عن حق، لقد أبدع هذا العجوز عن حق، لم أكن في مستواه حتى. .عن حق هنالك أوقات أفضل ما تفعله هو أن لا تفعل شيء من الأساس..اعتقد انه تمسك بالحياة لهذه اللحظة، استعد لها وها هو الآن علي وشك أن يختم لعبته.

فتح الباب وأشار جدي أن اقترب منه واضعاً يده علي كتفي الأيسر قائلاً وهو علي وشك البكاء ومحاولاً الصمود مشيراً إلى احد الرسومات الظاهرة أمامنا الواضحة، بسبب حجمها الهائل والمريب. .،كانت رسمه علي ما اعتقد. .،أو هي مخطط لم استطع تحديد من بعيد..،لونها احمر علي شكل مثلث داخل دائرة زرقاء باهتة، وأسفلها إحداثيات علي ما أظن . . حولها الكثير من الرسومات المعلقة مشابه ولكن ليست بنفس الحجم. .أيضا الكثير من الكتب علي السرير والأرض. .،قبل أن يقاطع جدي نظاراتي قائلاً بكل ثقة وحماس غير متوقعه:

-كان هذا مصير أبيك..

استبقت جدي بخطوه أو خطوتين بعدما استمعت لهُ، لأدقق النظر أكثر وأكثر لهذه ألرسمه. .و الآن نستطيع القول أنها إحداثيات لمكانٍ ما..، نعم تأكدت من هذا أنها لمكان. .وفي لحظة التفت إلى جدي الذي انتكس فجأة وكان علي وشك السقوط علي الأرض، لأمسك به علي الفور وأنا الأخر في حالة من عدم الاتزان بسبب تشتت ذهني وتعبيّ. .أمسكت به وأدخلته إلى داخل الغرفة ومن ثم وضعته علي سرير أبي وتركته لبضع الدقائق ليستريح من كل هذا المجهود وبدأت أنا أتفقد إرجاء الغرفة بهدوء.

كانت اكبر من غرفة عمتي. .ولكن لم يختلف محتواها كثيراً عن محتووها نفس الأشياء. .كل ما في الأمر هي الرسومات العجيبة الشبيه للمثلثات الحمراء علي مناطق زرقاء علي شكل دائري، اقتربتُ أكثر لهذه ألرسمه التي كانت أسفل ألرسمه الضخمة.. لأجد عليها نفس المثلث ونفس المنطقة الزرقاء والتي في اعتقادي ترمز للمحيط. .وجدتُ أن الغبار الكثيف يعيق نظري، ذهبت لأحضر قطعة من القماش لأزالت الشوائب والأتربة من عليها، قررت أن انتزع اللوحة الضخمة في نهاية الأمر واضعها علي الأرض ولأبدأ في تنظيفها بكل حذر وتدقيق وقررت أن لا اصب تركيزي في أي شيء حتى انتهي من تنظيفها بالكامل، ولكن فشلت في هذا فقد كانت. .قد كانت في منتهي الجمال رغم أنني لم افهم علي ماذا تشير أو علي أي منطقه بعد ولكن كانت حقاً لوحه فنية .

انتهيت من تنظيفها وبدأت ادقق لأجد أن أسفل كل زاوية من المثلث الذي يسكن داخل الدائرة، أسفلها اسم. .يوجد فوق رأس أو الزاوية العلية للمثلث كلمة "اليابان" وفي الأسفل علي اليمين كلمة "الفلبين" والزاوية الأخيرة منطقة إقليمية مائية غير محدده. .بدأت ادقق أكثر لمعرفة أي معلومة ولكن دون جدوى لأجد جدي يحرك يده قائلاً بتعب:

-اقلب اللوحة أيها الصغير.

التفت له سريعاً محركاً رأسي ايجابيا بعدما اطمأننت عليه انه يتحسن. .لأمسك اللوحة واقلبها علي ناحية الأخرى لأجد في عنوان بخط اليد كبير وأسفله حوالي عشر نقاط، كل نقطة أمامها جملة. .ولكن العنوان ما لفتني اكثر بسبب حجم الخط. .وكان العنوان، كالتالي.

"مثلث فورموزا "

قولت هذه الكلمة بصوت عالي لأجد جدي يقوم قائلاً وكأنه يكمل من بعدي:

-آو كما يعرف بمثلث التنين.

"مثلث التنين"

صمتُ لبعض اللحظات أحاول أن استوعب ما يحدث من حولي، محدثاً نفسي بعدما وجدت جدي يتفقد أرجاء الغرفة متذكراً أيام الماضي. .وبدأت أقول:

-مثلث التنين هذا لن اسمع به من قبل وما علاقته بأبي ولما يوجد الكثير من الرسومات به هذا المثلث. .هل أبي عالم أو شيئاً من هذا القبيل، هذا هو التفسير الأقرب لكل هذا ولكن ما علاقته بجدي ولماذا اخفي الغرفة لكل هذا الوقت مني لما لم يخبرني منذ البداية. .وما الذي يقصده بالمصير أو القدر هذا. .هل أمي لها علاقة بكل هذا ومن عسى تكون يا تري، كثيراً من الأسئلة علي وشك معرفة أجابتها. .ولكن قبل هذا علي أن أحاول أن أرتبها. السؤال الأول والاهم هو هوية آبي بجميع تفصيلها المهمة أما السؤال الثاني هو عن علاقة آبي بمثلث التنين. .وقبل أن أكمل ترتيب اسألتي وجدت جدي يجلس بجانبي علي الأرض وعليه ما تبقي من الدموع يحاول مسحها. .،يضع يده عليّ وأنا غير معتاد علي معاملته معي هكذا. . فكما نعرف أن علاقتنا مضطربة. .كنا قريبين لبعضنا لأول مرة تقريباً وجدته يأخذ شهيق يتبعه زفير وكأنه يستعد ليتحدث لوقتاً طويل، قائلاً وهو ينظر إلى نظرات الأمل أو الاشتياق وكأني اذكره بابنه كما كانت تقول عمتي دائماً "أنت تشبه. .أنت تشبه أخي المجنون" :

-من أين ابدأ يا ترى !

صمت ونظر إلى مبتسماً دون أن يفتح فاه للحظات وكأنه يشاهد علي ملامح وجهي فلماً أو شيئاً من هذا القبيل. .شارداً قبل أن تلمع عيناه بالدموع متابعاً حديثه ناظراً للعشر نقاط :

-كان والدك عالم محيطات يبحث في الظواهر الطبيعة والغير طبيعية التي لها علاقة بالمحيطات الأنهار والبحور أشياء من هذا القبيل. .كل ما هو له علاقة بالماء. وهذا يفسر كل هذه المثلثات الموضوعة علي هذه المنطقة من المحيط.

وضع جدي يده علي إطراف اللوحة ومغيراً اتجاها لهُ ومن ثمة قلبها علي الجانب الأخر جانب المثلث وأكمل مشيراً بأصبعه إلى المثلث:

-المنطقة الداخل المثلث تشير إلى اضطراب في الجاذبية واضطراب في منسوب الماء، وأيضاً في قوة الأمواج. .وقبل أن انسي أن هنالك ظواهر لها علاقة بالطقس أيضا، بشكلً يلخص كل هذا. .هنالك خطب في هذه المنطقة جعل كثيراً من الدول قبل زمن تبعث علماء لفك اللغز القابع في المنطقة ولكن دون جدوى كانوا. .،كانوا يذهبون بلا عودة ومن كان يرجع. .،يرجع جثة. .في نهاية الآمر توقفت الدول عن بعث العلماء أو بشكلً أكثر تحديداً أوقفوا الدراسة في هذا المكان والذي القي عليها باسم مثلث "**فورموزا** " أو مثلث "**التنين** " ولها اسماً أخر وهو "**بحر الشيطان** ".

جاء والدك يحمل الكثير من الشغف حول هذا الموضع منذ صغره، درس كل ما يتعلق بهذا الأمر وجن بعدما جاء إلى في احد الأيام يخبرني انه يجمع فريق من الباحثين لكي يذهب في رحلة إلى مثلث التنين بعدما جاء بنظرية ما.

امسك جدي بطرف اللوحة مرة أخري قالباً أيها لجانب الأخر الذي هو العشر نقاط. .مشيراً إلى النقطة الرابعة وتابع:

-جاء والدك بأحد النظريات والتي هي النقطة الرابعة والتي تقول كما تري..

"اليوم الثالث عشر من الشهر الخامس كل1095.75 يوماً يحدث الاختلال بين العالمين وتظهر الثغرة لثلاثة أيام "

-تحرك والدك قبل أسبوع من العام الذي من المفترض أن يظهر فيه هذا الاختلال الذي قاله في النظرية، ذهب ومعه ثلاث أشخاص دون حسابه بعدما رفض الباقون أن يذهبوا معه خائفين وبالطبع معهم كل الحق في فعل هذا. .قال انه سوف يعود بعد سنة أذا كانت حساباته صحيحة بعدما يجد العالم الأخر هذا. .مر عام، عامان. .ثلاثة.. أربعة. قال الجميع انه لقي حتفه هو ومن معه حتى أن السفينة هذه ليس لها بقايا حطام أو شيء. .

قبل أن يكمل جدي حديثة وسط صموتي التام وكأني منعزل عن كل شيء وفقط استمع إليه.. أوقفني قوله سفينة واعتقدت أن الشيء الأكثر منطقية هي غواصة وليس سفينة. .إذا كانت سفينة كيف تنزل إلى الأسفل وتعبر الاختلال هو البوابة هذه قاطعته قائلاً بعدما تذكرت جملة السفينة التي كان يقولها لي وأنا صغير:

-هذا ليس منطقي جدي، كيف سفينة وهو يحتاج أن يعبر البوابة أو هذا الاختلال والذي من المفترض أن يصبح في قاع المنطقة تقريباً.

وجدته ينظر إلى بعدما انتهيت وكأنه لا يعرف ما عليه قوله فرد سريعاً:

-لا اعرف الفرق بينهم، أذا هي غواصة وليست سفينة. .أنا لا اعرف الفرق بينهم حقاً .

نظرتُ له ولولا أهمية هذا الموضع لكنتُ صرخت ضاحكاً مما قاله، حتى أشرت بتحريك وجهي له أن يكمل. .ليردف:

-أين توقفنا. .نعم، ظن الجميع أن علام قد مات، الجميع معادي أنا . .حتى كلثوم صدقت انه مات حتى أمه والتي هي جدتك التي أرجح انك لم تسمع بها من قبل عمتك. .ظن الجميع انه مات هو ومن معه ولكن لتأتي السنة السابعة علي رحيله.

توقف جدي لبعض اللحظات وكأنه تذكر شيئاً ما قبل أن يكمل:

-نعم..، نعم أتذكر تفاصيل صباح هذا اليوم. .كان الطقس حار..، واستيقظت من أجمل الأحلام وأنا في سعادة لا وصف لها، فقد أتت لي زوجتي بعدما ماتت في العام الرابع من ذهاب علام. .،قد أتت إلى وكأنها تخبرني أن توقعاتي كانت في محلها وأن علام علي قيد الحياة وسوف أقابله قريباً. .

-استيقظتُ في هذا اليوم أحضر شاي والإفطار بعدما اطمأننت علي كلثوم فلقد تزوجت قبل وفات أمها في نفس العام الرابع أيضا. .انتهيت من هذا كل هذا وجهزت ملابسي وأكملت استعادتي وبعدها تذكرتُ أن اليوم إجازة والنادي الذي أقابل فيه أصدقائي مغلق فجلستُ أعاتب نفسي قبل أن يدق باب المنزل واسمع صراخ طفلاً رضيعاً علي الباب. .

-تعجبت لدرجة أنني لم اسأل من علي الباب، لأجد صاحب الشعر الطويل والملابس الشبه باهته والنظارة المكسورة يقف أمامي بطولة وعرضه دون قول أي كلمات. .

-نعم كان علام والدك بعد مرور كل هذه السنوات وهو في حالة غير جيدة..، وكأن عليه ملامح مختلطة بحزن وسعادة ليس لها تفسير. .يقف أمامي قائلاً دون نظر في وجهي بصوته التعب والحزين:

- لقد مر الكثير من الوقت آبي..،رحب بحفيدك.

***

الفصل الثامن

"قدر وحقيقة"

توقف جدي عن الكلام لبضع الدقائق مرة أخري ليجعل مني أفكر أكثر. .،وبشكل أكثر عمقاً ومنطقية عن السابق. .،فقولت لنفسي ونفسي تشعر بالضيق. .ما الذي يجعل من أب يترك طفلة الرضيع..، دون تفاصيل، وبشكل أكيد كنتُ أنا الطفل الذي يحمله أبي علي حسب كلام جدي، أذا أين أبي الآن وأين كان طوال هذه المدة. .هل وجد شيئا مثل عالم أو مكاناً ما غير معروف. .أو شيئا من هذا القبيل..، حتى إذا وجده لماذا لم يقل للجميع، كان يقدر أن يخلد اسمه في التاريخ المهشم هذا. .،بكل تأكيد ودون مبالغة هنالك عالماً أخر مخفي وهذا العالم لم يصل إليه احد عدا والدي وهنالك شيئاً ما جعل والدي يبقي فيه ويبقيه مخفياً عن باقي البشر. .أتسأل عن السبب وأريد أن اعرف، أريد أن اعرف لماذا تركني كل هذه المدة..وأيضا أمي من هي؟!، هل مازلت علي قيد الحياة وأين هي من الأساس. .كثيرا من الأسئلة أريد أن اعرف إجابتها الآن، وبكل شده.

انظر إلي جدي الذي بذل كل جهده لكي يهدأ ويكمل حديثة الذي اقترب من نهايته. .،وضعتُ كلتا يدي علي كتفيه محركاً إياهما لأصنع بعض

الحماس له لكي يكتمل هذا المشهد الدرامي الخيالي والغير متوقع بالمرة .
..،ولتمر بضع الدقائق حتى قررتُ أن أوقف كل هذا قائلاً له بنبرة حنونة بعدما قمتُ من علي الأرض:
-جدي، نم الآن ولنكمل ليلاً فأنت تعب. .
شدني بعدما امسك بيدي بقوة هائلة قائلاً وكأنه يتوسل لي لكي اجلس وليكمل حديثه. .ولكني رفضتُ هذا وثبتّ علي كلامي. .فهذا العجوز الأشيب الذي أمامي ضعيف ومنهار وإذا جعلته يكمل دون راحة فأنني اقتله ببطء فقط لا غير. .تقبل جدي كلامي في نهاية الأمر.
ساعدته لكي يجلس علي كرسيه المتحرك بعدما أحضرته له من الخارج لكي لا يمشي وغادرنا الغرفة ولأول مرة منذ انتقالي إلي العيش مع جدي.
..،أجد أن غرفة الأسرار والماضي لم تغلق وكأنها تقبلتني بعدما تقبلتها أخيرا.
.نعم لقد كانت قدري، سوف اعترف بهذا..قدري الذي احتاجه بشده علي عكس ما كنتُ اعتقده سابقاً.
ذهبتُ إلي غرفتي منشغل البال تاركاً جدي الذي لم اسمع صوته لبضع ساعات علي غير العادة. .وأثناء انشغال بالي وجدتُ نفسي اشعر بالجوع الشديد ليقاطع حبل أفكاري، قررتُ أن احضر لي طعاماً، وأيضاً أمر علي جدي لكي اطمئن عليه. ..،والذي وجدته يجلس علي كرسيه وكأنه منشغلاً هو الأخر. .وجدته يحرك يده أو بالتحديد يحرك أصابع يده في حركة دائرية ليذكرني بعمتي التي كانت تفعل هذا أيضاً عندما تكون متوترة أو

تخفي شيئاً ما، سألته إذا كان يشعر بالجوع. .لم يجب سألته مرة أخري لم يجب حتى رفعتُ صوتي في المرة الثالثة ليجب أخيراً وكأنه في عالماً أخر قررت السؤال للمرة الرابعة، لينظر إلي ويحرك وجه أجابياً. .بعدها أحضرتُ البيض الصناعي ومعه القليل من الجبن البُني الخام النادر. ..لنجلس أمام بعضنا البعض،نأكل قبل أن نكمل حديثنا مرة أخري.

أمامه الشاي وأمامي كوب من الماء ذا النكهة الخاصة الملون. .لأجد جدي ينظر إلي قائلاً:

-أين توقفنا ؟

نظرت له وأنا أحاول أن أتجاهل الحديث حتى لبعد أن ننهي المشروبات علي الأقل ولكن نظرتُ له ووجدتُ انه جاد أو حاد وكأن مستقبله كله يعتمد علي هذا الحديث. .فأجبته بعدما حركت الكرسي لأصبح أمامه مباشرةً وأنا انظر أليه بشغف:

-توقفنا عندما أتي أبي بعد سبع سنوات وهو يحمل طفل. .

وتوقفت ابتسم بسخرية وأردفت:

-يحملني بين يده.

فنظر إلى وتابع:

-نعم، نعم تذكرت هذا.

***

اخذ شهيقاً وتابع القصة:

-لم اصدق انه علام في بداية الأمر، ملامحه تغيرت إلي حداً كبير وملابسه كل شيء.. كل شيئاً فيه كان غريباً. لم اعرف ماذا أقول! هل أخذه بين ذراعي أم اضربه على وجهة أم أخبره أن أمه قد ماتت أم أن أخته قد تزوجت أم عن الطفل الذي يقول انه حفيدي أم أين كان كل هذه المدة وأين من ذهب معه..، ماذا. .الكثير من ماذا..؟!

- بُني الذي لم أرَ طيلة السبع سنوات.. لا اعرف ماذا أقول له.

وجدته يختلق ابتسامه وكأنه يريد أن ينتهي من هذا سريعاً وكأن لديه شيئا أهم مني ومن الطفل الذي معه. .اعتقد انه تغير وأصبح جامدا..أو أنه يترك شيء ذات أهميه عن كل ما جرى في غيابه، قبل أن يقول في نهاية الأمر بكل برود:

-أبي اعرف أن لديك الكثير من الأسئلة ولكني لا املك الوقت لهذا دعني ادخل في صلب الموضع وسوف أخبرك ببعض الأشياء أيضاً وأغادر علي الفور.

تسمرت في مكاني دون قول أي كلمات لأجده يمر من جانبي ليجلس علي احد الكراسي غير مبالياً..، ليلتقط أنفاسه مشيراً لي لكي أغلق الباب واجلس معه لنتحدث. .،وعلي الفور أغلقت الباب وجلست بجوره وأنا احتفظ بصمتي تاركاً له المجال لكي يتحدث. .،حتى بدأت أنت يا شحتة تبكي بين ذراع أبيك ليطلب مني أن أيقظ جدتك. .،ولكن نظرت له وأنا في

حزن وضيق محاولاً أن اخبره أنها ماتت دون قول أي كلمات. .،ومن حسن الحظ انه فهم الأمر وتخطها وكأنه لا يهتم وكأنه يملك شيئاً أهم من أن يبكي علي والدته حقاً. .،تباً كان رائعاً يا شحتة حينها. .نظراته توحي أن ما يجري هنا لا يقارن بما يحدث معه.

أكمل طالباً أن أيقظ كلثوم هذه المرة ، فأخبرته بعد صموت دام طويلاً بأنها تزوجت وللمرة الثانية لم تظهر ملامح أبيك أي اهتمام..كان بارداً يا فتى...، فقمتُ من علي الكرسي ممسكاً به لوقفه عند حده قائلاً وعلي الغضب الشديد. .،ثائراً مثل البركان:

-أنت، أنا لا اعرف ما الذي حدث لك كل هذه المدة ولكن احظر، احظر مما تفعله الآن ولا تختبر صبري يا علام . .لا اعرف ما الذي حدث لك قد تغيرت كثيراً..، ومن الأفضل لك أن تخبرني بكل شيء وألا. .وألا .

حتى قاطعتني يا شحتة ببكائك الذي زاد مرة أخري، حتى أخذتك منه وحملتك محاولاً أن أجعلك تهدأ. .ومن حسن الحظ توقفت عندما أمسكت بك علي الفور وكنت تنظر إلى محاولاً أمسك ملابسي بيدك وتضعها في فمك مثل الأحمق تمام.

تابعت النظر إلي علام وهو ينظر إلي أيضا، حتى تكلم بدون أن ينظر إلي وكأنه يخجل من شيء ما لا اعرف ما هو:

-لقد عبرتُ الثغرة يا أبي، وجدت عالماً غير عالمنا هذا عالماً لا استطيع وصفه.

***

دهشتُ مما قاله وتعجبت رغم انزعاجي منه وفشلت محولاتي في أظهار عدم الاكتراث بعدما أظهرها هو. .،صمتُ أفكر في ما يجب أن أقوله تالياً، وكل هذا وأنا جالس علي الكرسي احمل الطفل هذا. .نظرت إلي "علام" وأخبرته تلقائياً وعلي ملامحي الانزعاج والاندهاش:

-لما لم تحزن علي والدتك ؟!أو لما لم تفرح لأجل أختك حتى؟!، ما خطبك يا صديقي الصغير. .خبرني أنت لا تبدو علي ما يرام أنت لست علام الذي اعرفه قبل أن يغادر. .اخبرني فقط ما الذي حدث لك لربما استطيع مساعدتك. .وأيضا هذا الطفل هل هو ابنك وإذا كان ابنك أين أمه. .هل تزوجت من الأساس،متى ومن هي هل اعرفها أنا أم ماذا.

انتهيت من طرح الأسئلة وانتظرت أن يجيب لبضع اللحظات..،حتى وجدتهُ في اضطراب وكأنه يريد أن يخبرني بشيء ولا يستطيع. حتى حرك شفتيه أخيرا مستعداً للكلام قائلاً في نبرة غير متزنة بالمرة:

-لم اشعر بالحزن علي والدتي. .هل تمزح معي، ..سوف أخبرك لماذا لم اشعر بالحزن..؟!

وجدته يقوم متجهاً إلي محركاً أصبعه في وجهي قائلاً في غضب وكأني اتهمته بشيء لم يفعله.. وكأن سؤالي قد أثار عصبيته أو ما شابه. .وقال بغضب

وكأنه في ميتم لم يخرج منه لسنوات، وكأنه لم يري سوى البكاء وصراخ. .والموت. كأنه قد أصبح شخصاً أخر. .،شخصاً مر بالكثير ويكاد أن ينفجر:

-لم اشعر بالحزن علي موتها لأن الموت بنسبة لي أصبح شيئاً معتاداً يا أبي،. .أنا لا اقدر. .لا استطيع أن احتمل أكثر من هذا، كل ما حدث لي وما علي وشك أن يحدث، كل هذا فوق طاقتي..،أنا إنسان قد تعرض للموت عديد المرات، ومازالت حي أمامك..توقف عن الحديث يا أبي لا تقل أشياء تجعلني أبقي معك في عالم الممل البارد. .هنالك ما هو أهم.

تغيرت ملامح الانزعاج إلي ملامح بكاء لديه، وأكمل بعدما هبط بركبته علي الأرض وأنا جالس لا افهم ما الذي يقصده ولكن لا اهتم. .تذكرتُ الآن أن كل ما كان يشغل بالي هو أن يكون بخير، والآن ها هو أمامي حي وهذا كل ما يهم الآن..،وتابع قائلاً بعصبية. .حتى أن عينيه كانت حمراء وكأنه لا ينام :

-لقد مررت بالكثير والكثير خلال السبع سنوات الماضية وأنا في هذا العالم التعيس العالم الذي يفوح منه رائحة الخنازير العفنة الميتة. .العالم الذي يعمه الفساد.

وصمت لبضع اللحظات جالساً علي الأرض وأردف في نبرة من الجمود والحزن:

-هل تعتقد أنني لا اشعر بالحزن علي موت أمي أم ماذا، بالطبع أيها الأشيب اشعر بالحزن ولكن لا استطيع إخراجه فقط لا استطيع البكاء لموت احد

أخر. .لقد بكيت كثيراً حتى أصبح من الصعب أن ابكي مجدداً علي موت احد. .ابكي فقط علي حالي هذا. .لقد حدث الكثير لي يا أبي في سنواتي السبع وأتوقع أن يحدث لي الكثير خلال الأيام والسنوات القادمة.

وجدته يقف يمسح دموعه القليلة ويذهب إلي كرسيه مجدداً وأكمل:

-اريد أن اطلب منك شيئاً أبي، أريدك أن تخبر ابني كل شيء تعرفه عن بحثي في مثلث الشيطان ولكن بشرط أن يطلب منك هو، يمكنك أن تثيره وتحسه علي طلب المعرفة. .إذا كان مستعداً أن يأتي فهذا قراره وحده..، لا يجب أن يُفرض عليه هذا والي أن يحين هذا الوقت أريدك أن تجعل كلثوم تعتني به. .عليّ الرحيل ليس لدي وقت أكثر من هذا أن البوابة سوف تغلق بعد يومين علي أن اذهب قبل هذا.

من صعب أن اسأل أو أتحدث من الأساس الآن فهو منهار وهذا هو الواضح عليه. .وكيف أتحدث من الأساس وسط كل كلامه هذا.

كلامه عن الموت وانه أصبح معتاداً عليه جعلني أخاف وأقشعر وأنا علي كرسي، قولت داخل نفسي أثناء تحركه نحوه الباب مستعداً للرحيل

- "من المؤكد انه مر بالكثير ولأسوء أني لا استطيع أن اسأله "

قررت أن اصمت مشاهداً أيها علي وشك أن يفتح الباب والمغادرة فسمعتُ بكاء الطفل مما ذكرني أن أساله علي اسمه. .فقمتُ إلي "علام" قبل رحيله واضعاً يدي عليه قائلاً في عدم اهتمام:

-ما اسم ابنك؟!

فأجبني بعدما التفت إلي قائلاً بعد لحظات من التفكير قائلاً وكأنه يتذكر شيئا ما:

-شحتة، اسمه شحتة.

تعجبتُ من الاسم ووجدته ساخراً. ،، ولكن تقبلته بعدما رأيتُ علي ملامح "علام" انه له سبب بعد محاولته أن يتذكر شيئا قبل أن ينطق به. فتقبلته بكل بساطة وقبل أن يرحل سألته سؤالاً أخر كأب وهو

- "متى سوف تعود من سفينتك"

فرد علي مبتسما لأول مرة:

-قريباً..، قريباً.

فعرفتُ انه لا ينوي العودة هذه المرة فقررت أن أرافقه إلي ابعد مكان بقدر استطاعتي. .تمشينا ثلاثتنا لمدة عشرين دقيقة وأعطيته المال لكي يركب احد العربات لتوصله إلي هدفه بعدما اخبرني أن أصدقائه في البعثة رجعوا معه سالمين وينون أن يرجعوا مرة أخرى معه وإنهم سوف يتقابلون اليوم للرحيل مرة أخري. .وصلنا إلي ابعد نقطة وودعته وانتهي الأمر علي هذا.

ذهب إلي أصدقائه وتوجهت أنا إلي "كلثوم" كما طلب مني والدك. .ولكني تذكرت جملته الأخيرة قبل أن يودعني ويركب القطار وهي " أرجوك اعتني بابني فأنا اعتقد انه أمل العالم الأخر من بعدي ". وغادر بعد قول هذا الكلمات العجيبة.

لم افهم ما يعنيه إلي الآن ولكن اعتقد انك يا شحتة ينتظرك الكثير من المتاعب، مثل أبيك إذا ما قررت الذهاب. .وأخر شيء قد قولته له وأنا أودعه بين ذراعي:

-امشي علي الجانب الأخر من سكة القطار ولا تقترب منه حتى يقف تماماً. كانت هذه يا شحتو، المرة الأخيرة التي أري فيها والدك.. الشيء الوحيد الذي لا اعرفه إذا كان مازال حياً أم ميتاً.

الآن لقد انتهيت من هم والدك الذي طلب مني أن أخبرك لقد وفيت الوعد أخيرا بعد ستة عشرة عاماً أو أكثر. .أو ربما اقل. .لا يهم لقد أوفيت بالوعد وأنا فخور بهذا.

***

قمتُ والدموع تتساقط مني مقبلاً رأس جدي موجهاً الشكر له بعدما شعرت انه فرح بحق فأخذني بين ذراعيه ودموع الفرح تسقط منه هو الأخر. .،ومرت بضع ساعات نراجع بعض الإحداث أنا وهو حتى وجه لي سؤالاً فكرت دائماً فيه وعليه ملامح الحيرة والجدية. .وشغف لكي يعرف :

-ماذا سوف تفعل الآن، شحتة؟!

نظرتُ له ولاحظت انه أزاح من علي كتفيه حملاً ثقيلاً والآن هو متشوق لمعرفة الإجابة ولكن فضلتُ أن اخذله للوقت الراهن، قائلاً له دون أن انظر في عينه:

-لا اعرف جدي، احتاج أن أفكر قليلاً.

وانتهي الأمر علي هذا المنوال، ذهبتُ لغرفتي لأستريح أو حتى أنام إذا استطعت.رميت جسدي علي السرير وحاولت أن أنام قدر ما استطيع ولكن دون جدوى. .،أفكر بطريقة يصعب وصفها. .أفكر في شيئاً واحد..

"ماذا سوف افعل ؟!"

لم أتوقع أن هذا ما سوف ينتظرني أبداً والتفكير به إلي حد الآن يصعب تصديقه. .وسرعاً ما فكرت في شيئاً أخر وهو والدتي أريد أن أراها إذا كانت حيه، لماذا رفض أبي الإفصاح عن هويتها من الأساس وتجاهل الأمر.

هل هي علي قيد الحياة يا ترَ أم إذا كان والدي علي قيد الحياة من الأساس ؟! أم هل كلاهما علي قيد الحياة.

وتغير تفكيري للمرة الثانية. .، كيف توقع أبي أن اعرف كل هذا أم لا وهل كان علي يقين أن جدي سوف يخبرني في يوم من الأيام وأيضا ماذا إذا لم تمتّ عمتي هل كل هذا كان سيصبح مصيري أم ماذا. .هل هذا من ترتيب القدر يا ترَ، نعم انه يرتب كل شيء انه يلاحقني قتل عمتي وقتل زوجها وها الآن في هذه اللحظة، وأنا علي وشك اتخاذ أصعب قرارات حياتي..، ما الذي يجب أن افعله. .لا اعرف حقاً اشعر بالعجز الشديد لأول مرة منذ أن ماتت عمتي، حتى اشدد علي الخانق وقررت أن اذهب للتمشية فجراً، ألقيت نظرة علي جدي وجدته نائم فتسللتُ وغادرت.

كان الطقس بارداً إلي حداً ما وضوء القمر ظاهر ليخفف الظلمة بنسبة كبيرة، الكلاب تملئ الشوارع ولكن من حسن الحظ أنها تعرفني جيداً لأني

أطعمها بين الحين والأخر لدرجة أن احد الكلاب صغيرة مشي بجانبي مسافةً كبيرة الي أن لاحظت شيئاً. .

احد الأشخاص يحاول العبث مع فتاة. .،وهي تحاول الابتعاد عنهم وعندما اقتربت أكثر لمعرفة ما الذي يحدث وجدتها أنها "خلود" أحد أصدقائي في الجامعة التي ادرس فيها والذي بجانبها هو تقريباً صديقها الحميم ولكن سألت لماذا تصرخ وصديقها بجانبها إلي أن وجدت انه علي وشك أن يخرج لها سلاحاً حاد يهددها أن تصمت. .،حينها قررتُ التدخل لحمياتها منه صرخت عليه في البداية حتى ازرع فيه الخوف ولكن لاحظت انه سكير وهذا واضح من طريقة كلامه وحركته أمامي.

رفع عليّ السلاح وتصديت له..، هذا إليه أن وجدت الكلب الواقف بجانبي علي وشك أن يهاجمه، وقفت أشاهد إلي أن وجدت كلباً أخر تدخل وفجأة أصبحت مجموعة من الكلاب حاولي خمسة أو أربعة. .مجموعه من الكلاب الشرسة.

فأمسكت الفتاة من يدها وشدتها بقوة طالباً أن تثق في، فأنا اعرف أن الكلاب لم تعبث معي وإذا كانت بجانبي لم يعبثوا معها هي الأخرى،وقلتُ قبل أن ارحل للكلاب:

-انه لكم يا شباب. .،لا تقلقوا سأدفع لكم الطعام لاحقاً.

ابتعدنا مسافة جيدة إلي أن أوصلتها إلي منزلها وشكرتني علي ما فعلته وطلبت مني أن أرافقها إلي داخل المنزل ولكن رفضت وهي أصرت فقررت أن أرافقها للجلوس معها إلي أن تهدأ من الصدمة التي كانت فيها.

منزلها الغير مرتب وصغير المساحة. .علمتُ أنها تعيش بمفردها لأن والديها يعشون في الخارج وإنهم تقريباً رجال أعمال وهي قد فضلت الاستقرار عنهم.

حضرتُ الشاي وجلسنا وسألتها عن سبب ما حدث فبدأت بالبكاء وهي بجانبي تقريباً فوضعت يدي علي كتفها لكي تهدأ قليلاً، ومرت خمس دقائق حتى بدأت تتحدث عن سبب. والذي فجاءني بشدة، قالت لي وهي تبكي :

-الجميع يعتقد انه صديقي المقرب وما شابه ولكن هذا ليس بصحيح، استطيع القول انه صديق الطفولة فقط ولا يريدني أن أتحدث مع احد ويهددني دائماً أن يكثر عظامي. .ذهبت إلي الشرطة أكثر من مرة ولكن يرفضون الاستماع إلي بسبب أن عمه صاحب منصب كبير ويخافونه. .،يضايقني. .هذا كل ما يفعله، ولا استطيع فعل شيء حيال هذا وقررت في احد المرات أن انتحر ولكن تستطيع القول أنني جبانة وأخاف الموت ولا اقدر علي فعل هذا.

فابتسمت له وأنا أمد يدي لها لأعطيها كوب الشاي بعدما برد قليلاً:

-الجبن شيء جيد يا فتاة هنا. .هذا يعني أنك ذكيه

وانتهيت واستمرت هي بالبكاء، حتى وجدتها ترمي بجسدها علي كتفيّ. . وحينها فكرت في كلامها ووجدتُ انه صحيح بشأن صديقها هاذ وكنتُ بدوري ألاحظ ، فلقد كانت مستقلة عن باقي المجموعة، ودائماً ما تفضل الجلوس وحدها، و يبدو عليها الحزن دائماً.. وتذكرت أن أصدقاء الصف يبتعدون عنها وكأن هنالك شيء لا يعلمه احد عنها. حزنتُ بدوري أنا الأخر وشعرت أن لا فائدة من هذا العالم والبشرية بدورهم أيضا. .لماذا نفعل هذا؟! ما خطبنا !؟ لماذا نتظاهر بالحب ونفعل عكسه. .،ما الخطب. .هل هذه طبيعتنا أم نحن فقط نبرع في فعل هذا!

رجعتُ إلي المنزل وكان جدي قلقاً عليّ وسألني أين كنتُ طيلة هذا المدة، فأجبتهُ قائلاً وأنا ابتسم بحماس شديد. .وأتحدث بكل سرعه وشغف..، وقلبي ينبض بسرعة:

-جدي، أريد أن اذهب..،إلي هذا العالم ، أريد أن اعبر البوابة أسفل بحر الشيطان، أريد أن اعرف من هي والدتي. .أريد أن عرف ما هذا العالم البائس المشوق الذي يقصده أبي. .أريد أن اعرف السبب الذي جعله يترك ابنه دون أن يسأل عليه. .،واعرف انك تعرف مواعيد فتح البوابة. .اخبرني متى استطيع الذهاب ؟!

***

الفصل التاسع

"صديق قديم"

أخبرت جدي عن موقفي النهائي حول كل هذا. .،لا اعرف إذا كان هذا الاختيار الصحيح أم لا ولكن شعرتُ أن لا فائدة من هذا العالم لربما العالم الأخر هذا أفضل أو ربما أسوء. .من يعلم يا تري. .،رغم أن كلام جدي حول حالة أبي ليست بالمبشرة ولكن لربما هنالك أمل بسيط، فأنا لم أري بعيني إلي ألان. .،وبعيداً عن هذا كله أعتقد أني حينها قررت الذهاب فقط نتيجة للتراكمات التي صارت لي. .شعرت أني وحيد في هذا العالم، شعرت أني أفضل من أن أبقى هنا وسط هذه الوحوش علي شكلً بشري. أخبرته إنني أريد أن اذهب فانظر إلي بدهشة كبيرة وكأنه لم يتوقع..، فصمتُ لأتابع قائلاً بعدما انتظرتُ أ يتكلم وهذا لم يحدث..،فقولت وكلِ شغف لأعرف:

-ها، أخبرني متى تفتح البوابة..،جدي؟

وضع يده علي مؤخرة رأسه. .،قائلاً وهو يحرك أصابع يده الأخرى متعجباً:

-توقعت أن تقرر الذهاب ولكن ليس بهذه السرعة. .تريد أن تعرف متى تفتح البوابة ؟! حتى إذا أخبرتك ماذا تستطيع أن تفعل، لست خبيراً في

مجال دراسة المحيطات ولا تملك سفينة أو غواصة كما تقول، وأيضا ماذا سوف تفعل هنالك. .أنت بلا حول ولا قوي. .، إذا أخبرتك بموعد فتح البوابة لن تستطيع أن تفعل شيء. .

وضحك وتابع:

-هل سوف تمشي أو تطير هنالك تبحث عن أمك أو أباك قائلاً "أبي علام أين أنت ؟! أمي التي لم أركِ من قبل ولا أعلم حتى أسمك ، أين أنت؟! " لا تكن سخيفاً يا شحتة الأمر يحتاج ألي دراسة ووقت أكثر من هذا. .ادخل نم ونتحدث في وقتٍ لاحق ربما، علي وجهك الإرهاق ظاهراً. .،أعدك إذا أقنعتني وأخبرتني أن لديك خطة سوف أخبرك متى تفتح البوابة حينها، غير ذلك انسي..

وصمت مرة أخرى قبل أن يتابع بجدية ونظرات الأمل تظهر عليه رغم أن كلامه لي يظهر عكس هذا. .قال رافعاً كلتا يديه وكأنه يتحدث مع أحد:

-يا حفيدي الأحمق، أجبرني أن أخبرك. .سوف انتظر خطتك.

وقفت كالمسمار فلقد ضربني في مقتل. .هذا الأشيب لقد قال كل شيء لا املك الرد عليه. .سألتُ لنفسي ونفسي لم تُجب "ماذا أفعل انه يتحدث بكل منطقية، لا أعرف ماذا أقول. .نعم أنا لا اعرف شيئاً عن المحيطات وحتى لا اعرف الطريق إلي بحيرة الشيطان هذه. .ومن الأساس لا اعرف قيادة الغواصة وإذا وجدت حل ما الذي يضمن لي أنني سوف أكون في أمان هناك وماذا يضمن لي أنني سوف أجد أمي أو حتى أبي أحياء بعد كل هذا،

لقد غرز جدي سكيناً في أمالي ومعنوياتي..وفوق كل هذا من أين سآتي بغواصة من الأساس.

***

رميتُ بجسدي المرهق علي سرير أفكر وأفكر حتى غفوت من شده التعب والإرهاق الذي اثر علي بشده..فأنا لم انم ليلة البارحة.

نمت دون أن اشعر، متذكراً احد ذكرياتي مع عمتي "كلثوم" في يومي الأول في المدرسة.

استيقظت رغماً عني، وأنا في الرابعة تقريباً بعدما أجبرتني عمتي أن استيقظ لأذهب معها إلي قاعة تعلم الأحرف لبدأ أيامي فيها.

كأي طفل أو صغير يخاف أن يذهب إلي مكان جديد في يومه الأول، أنا خفتُ بالطبع ولكن زيادة عن هذا كنتُ اشعر بالخمول وعدم المقدرة بسبب أنني أتيت من تمارين السباحة متعباً وقبلها كنتُ مع عمتي في النادي، الروتين المعتاد لا تغير فيه. .كان خطئ فلقد حذرتني عمتي أن احضر تمرين البارحة ولكن كنتُ مصراً أن احضر لكي اتعب ولا استيقظ مبكراً وأتهرب من أول أيامي من الحجرة هذه ولكن شعرت أن عمتي فهمت ما أفكر فيه فأصرت أن استيقظ وقد حدث واستيقظت رغماً عني.

طوال الساعتين ما قبل الخروج من المنزل ولا أبالغ عندما أقول طوال الساعتين. .كنتُ في حالة من البكاء والتصلب والرفض فلقد شعرتُ بالخوف، شعرتُ أنني هناك لم أكون في أمان رغم أنها مجرد قاعة وليس

هنالك ما يدعوه لقلق. .كنتُ خائفاً أن أقابل ناساً غير عمتي و"تامر" ومدرب السباحة الخاص وأصدقائي هناك. .كنتُ خجولاً.

في أخر مرحلة قبل أن نغادر المنزل. .التي وهي أن ارتدي الحذاء، لا اعرف بالطبع كيف اربط الحذاء فكانت تفعل هي هذا. .تنتهي ربط واحد أكون قد فكيت الأخر وهي جامدة لا تظهر علامات الانزعاج، قررت هذا تقريباً خمس مرات دون أن تصرخ في لدرجة أنني مللت وأنا ابكي فقررت أن أتحدث قائلاً:

-سوف افعل هذا إلي أن تملي، استطيع فعل هذا طيلة اليوم. .ما رأيك أن اذهب غداً ونتجاهل اليوم ؟!

نظرت إلي وهي تبتسم قائلة :

-اخبرني شحتو، لماذا سوف تذهب لمثل هذه الأمكان ؟!

تعجبتُ من هذا السؤال رغم أن أجابته واضحة كالنور، جميعنا نعرف لماذا نذهب للحجرات التعليمة والمدارس والجامعات . .أجبتها مستغلاً الوضع في غرور:

-إذا أخبرتك لم اذهب اليوم، حسناً ؟!

كنتُ كالأحمق حينها. .،كنتُ ساذجاً بعدما وافقت وأخبرتها السبب. .، فكنتُ اعتقد أنني لم اذهب بقولي:

-للتعلم، نذهب للتعلم.

وجدتها تضحك كالأبرياء ناظرةً إلى وهي تشفق عليّ، فتعجبت إذا أخطأت ولكن لا هذه هي الإجابة والسبب الوحيد لذهبنا لهذا المكان التعيس. .حتى وجدتها تقول وهي تحاول أن تتغلب علي ضحكها:

-هل أنت متأكد ؟!

شعرت بالحيرة، قولت داخل نفسي "لربما تحاول أن تخدعني، تحاول أن تضلني لكي أغير إجابتي. .نعم أنها تحاول فعل هذا " تشبثتُ بإجابتي المنطقية لترد عليّ وضحكتها قد زادت:

-إجابة خطأ، شحتو.

تعجبت وأصبحت في حالة من التعجب، شدّت عمتي من كتفها وبدأت أتسأل "إذا ما هي لأجابه، لماذا نذهب؟! أخبريني؟! "..، إلي أن أخبرتني الإجابة التي لم اعرفها وكانت منطقية رغماً عن هذا، أخبرتني مبتسمة وهي تنظر في عيناي:

-نذهب للمدرسة لنبحث عن أصدقاء جدد ليبقوا معانا طيلة حياتنا..يساعدونا في أوقات ألحاجه..،نحصد بعض الخبرات أيضا منهم التي تفيدنا . .لا نذهب للتعلم فقط شحتو..،فهمت ما أقصده. .نذهب لنرّ ما هو جديد.

***

وعلي الفور قمتُ من غفوتي، قمتُ من النوم وأنا فرح. .فرح لأني تذكرت عمتي.

ولكن من. .من يقدر علي مساعدتي، كما قال جدي مستحيل أن اذهب إلي هذا العالم بمفردي وبدون وسيلة مقنعة. .من يستطيع أن يصنع غواصة ومن يستطيع أن يأتي بالمال من الأساس. ثم توقفت عن التفكير للحظات بعد تفكيري بشأن المال متذكراً "خلود" وأنها تستطيع أن تأتي بالمال من والديها أنهم حقا أثرياء.. حتى إذا كان مبالغاً كبيراً، علي فقط أن أخبرها بكل شيء، لن ترفض.

لم يأتي في بالي أحدا بخصوص الغواصة. . فبدأت انزعج، بدأتُ اسأل نفسي قائلاً في حيرة:

- "من اعرفه ذكي، من اعرفه مجنون ليصنع غواصة مضادة لضغط الماء الشديد الذي سوف نتعرض له، من يصدقني إذا أخبرته عن العالم الموازي وكل هذه الأشياء"..

توقفت عن التفكير عندما قاطعتني حازوقةً فجأةً وحينها تذكرت صديقي صاحب متلازمة "توريت" الذي كان يصدر أصوات وحركات بغير إرادته. .كان معي في المدرسة القديمة، كان من النوادر الذين يأتون للمدرسة مثلي. كان اذكي مني كان يفكك الأشياء ويعيد ترتيبها. .كان مجنون لدرجة انه ابتكر احد الأشياء الشبيه للهواتف بواسطة "شريحة الذكاء "

كاد أن يطرد حينها لأنه غير برمجتها وهذا غير قانوني ويعاقب عليها القانون ولكن كان صغيراً حينها ولم نكن نعرف كل هذا. الحائز علي العديد من الجوائز العلمية للمبتدئين في ألمدرسه.. الشخص الذي اعترف إنني لا

أجاريه في نحيه العلمية، صديقي صاحب متلازمة توريت الذي يدعي "سمير".

وبدأتُ ادرس الأمر قبل اتخاذ مثل هذا القرار..،هذه الأمور لا رجعه فيها، جلستُ علي الأرض أفكر إذا كان سوف يتذكرني أم لا. .لم أره منذ انتقالي مع جدي أو حتى قبلها لا استطيع أن اجزم، لم نكن علي تواصل. .كنا أصدقاء مقربين بعض الشيء ولكن بالطبع اختلف هذا الأمر ألان..أفكر وأفكر حتى انزعجت علي نفسي من كثرة التفكير قائلاً بصوت واضع في انزعاج:

-"الآن تمل من التفكير، ها شحتة. .لقد حان وقت الأفعال، حان وقت التحرك. .لنذهب له لماذا كل هذا التفكير، لم تكن الصداقة أبدا لها علاقة بالوقت. .إذا كنت صديقه، فسوف يتذكرك حتى إذا مر مائة عام دون أن تتقابلوا. .هيا أكمل لا شيء نخسره لنفعل أقصي ما يمكن. .فقط لنحاول"

قمتُ علي الفور مرتدياً ملابسي مستعداً للذهاب وقبل إمساكي بمقبض الباب وجدتُ جدي يسألني إلي أين اذهب، فلتفت له مبتسماً وغامزاً أيها وكأني أعانده. . قائلاً:

-انتظرني، سوف أجبرك أن تخبرني. .فقط انتظر.

وغادرت مسرعاُ. .

قبل أن تتحول الابتسامة إلي خيبة أمل..، بعد أغلقي الباب تذكرت إنني لا اعرف عنوان منزل "سمير" ولكن جاءتني فكرة وهي أن اذهب إلي المدرسة

التي كُنا فيها واطلب منهم أن يعطوني العنوان بحجة أننا أصدقاء ولم نرّ بعض منذ مدة.

مرت قرابة ساعة ونصف تقريباً ، حصلتُ فيها علي العنوان بسهوله عن طريق المدرسة واتجهت مسرعاً إلي المكان المقصود. .لأجد لا شيء.. نعم..لم أجد شيء أبدا وكأن المنزل لم يكن موجوداً. .تعجبتُ وقلقت في نفس الوقت، ذهبتُ لأحد المتاجر القريبة من مكان العنوان وسألته عن هذا الأمر، فأخبرني أن صاحب المنزل قد قرر أن يبيعه بعدما أقدم ابنه علي الانتحار.

حزنتُ لأنني توقعت أن هذا الفتي كان "سمير" وانه انتحر لأنه مريض. .وقفت أمام مكان المنزل لبضع لحظات من الصدمة وحينها قررت أن ارجع للرجل صاحب المتجر العطارة لأسأله أين تسكن عائلته الآن لكي أقدم التعازي ومن حسن الحظ كان صاحب المتجر صديق والد "سمير" واخبرني عن مكانه وقبل أن أغادر تذكرت شيئاً وهو متى حدث هذا فأجبني الرجل قائلاً:

-قبل ثلاث أعوام.

وقبل مغادرتي سألني صاحب المتجر، قائلاً:

-من أنت لتسأل كل هذا ؟!

فأجبته دون نظر:

صديق قديم. .فقط صديق قديم.

***

إعطاني الرجل العنوان وذهبت له واخذ مني هذا وقتاً لأنه كان في مقاطعة بعيدة.

علي وجهي التعب من الرحلة التي أخذت حوالي أربع ساعات أو ربما أكثر تقريباً. .وصلتُ إلي مكان العنوان والذي كان بيتٍ فاخراً علي عكس توقعي لنقول انه مشابه لتصميم القصر ولكن اصغر قليلاً دون حديقة أو شيء أخر. توجهت إلي باب المنزل وطرقت ثلاث مرات حتى فتح الباب وكان خلفه احد الرجال في أواخر الخمسين مثلاً، بدين وصاحب صلعه تعكس إشاعة الأنوار، رغم وجود بعض الشعر الأبيض في كلتا الجانبين. .،سألني من أكون فأخبرته أنني صديق "سمير".

فظهرت عليه نظرات التعجب وكأنه لا يتوقع هذا فأكمل بنفس نظرات التعجب والتي ظهرت علي صوته وعينه:

-صديق سمير !! هل تمزح، هل لسمير أصدقاء ؟!

فابتسمت له دون قول كلمات لأدعه يكمل، وتابع قائلاً دون تظهر عليه علامات حزن علي غير توقع:

-سمير، ليس هنا. .يا بُني.

حينها قاطعته قائلاً وأنا غير ناظراً إليه:

-اعرف يا عمي، وأنا أسف علي هذا وأرجو أن تقبل اعتذاري إنني لم أتي مبكراً لأقدم لك التعازي.

لم يتحدث والد سمير إلي أن استمعت لضحكات وعلي الفور التفت إلي الخلف لأعرف مصدرها ولكن علي عكس توقعي كانت من والد سمير الظاهر أمامي..، بالطبع هو فلا احد غيره أمامي.. رفعتُ رأسي في حالة من الذهول بعدما سمعتُ وشاهدت ضحكاته الغير مبررة.. ذهلتُ لدرجة أنني لم اسأل عن سبب تصرفه هذا، حتى تحدث وهو بالكاد يستطيع بسبب كل هذا الضحك قائلاُ:

-من أخبرك أن سمير مات ؟!

وقفت للحظات وأنا أحاول أن افهم ما يحدث، قبل أن أجيبه قائلاً في تعجب:

-الرجل صاحب متجر العطارة القريب من المنزل القديم، اخبرني بذلك.

وصمتُ قبل أن اجن مرة أخرى بعدما ضحك قائلاً هذه المرة:

-سمير لم يمت..ولم ينتحر من الأساس.

قالها وأنا لم اصدق حتى أردف:

-تفضل بدخول سوف أخذك إلي مكان تواجد سمير إذا كنت تريد أن تقابله..، فقط انتظرني سوف أغير ملابسي.

لم يكن أمامي خيار سوي الدخول من ذهولي الذي تبع له فرح، نعم فرحتُ. .خطتي لبناء الغواصة تعتمد علي "سمير" إذا استطاع أن يبتكر ويبني واحدة أو حتى إذا فعل شيء أخر قد يقودنا ألي نفس النتيجة.

انتهي والد سمير وأصبحنا مستعدين للذهاب إلي مكان تواجده وقبلها احضر لي الماء وشربنا بعض الشاي قبل أن نتحرك.

وصلنا ألي محطة القطار وتبين انه يتواجد في مقاطعة أخرى تستغرق قرابة النصف ساعة، توجهنا إلي مقعدنا وحينها بدأ العم يحكي التفاصيل:

-أسف علي ضحكي أيها الشاب، ولكن كان الأمر غريب بنسبة لي..، أن يأتي احد ويخبرني انه صديق "سمير" وانه قد مات هذا امرأ غريباً. .لم يمت سمير بل أخيه "جان" غير الشقيق، مات بسبب جرعة زائدة من احد أنواع المخدرات الجديدة ولم ينتحر كما قولت ولكن من انتحر كانت والدته بسبب حزنها عليه، تزوجتها بعدما ماتت والدة سمير بأربعة أعوام وكان لها ابن يصغر ابني بثلاثة أعوام كانت أجنبيه لم تكن من منطقه مقتطعتنا تعرفت عليها صدفه أثناء سفري لأنهي بعض الأشياء المتعلقة بالتجارة، فأنا أدير شركه نقل.

لم يكونوا متوافقين فأنت تعرف أن "سمير" مريض ومن الصعب التأقلم معه ولهذا تعجبتُ عندما ظهرت أنت واخبرني انك صديقه وهكذا.. ولهذا لم استطيع كتم ضحكاتي واعتذر مرة أخرى علي هذا. وألان اخبرني منذ متى وأنت تعرف "سمير"

أجبته بصدق:

-المدرسة قبل أن انتقل بسبب بعض المشاكل التي حدثت لي. .ولم أره منذ زمن، لهذا سألت عليه وحزنتُ عندما اخبرني الرجل انه مات، ولكن الآن علي أن أشكرك.

تعجب الرجل قائلاً:

-علي ماذا تشكرني ؟!

أجبته وعلي ملامح الفرح:

-لأن سمير حي.

***

وصلنا إلي وجهتنا أخيرا، أشار العم إلي احد المخازن التي تباينت أنها ورشة ضخمة من الداخل، قائلا:

-هذا المكان الذي يقضي فيه جان معظم الوقت، أتمني أن يتعرف عليك كما لم تنسه أنت..سوف ارحل الآن تأخرت علي العمل. .إلي اللقاء وأتمنى لك كل توفيق.

وغادر الرجل بعدما أكد انه عليه الذهاب للعمل مره أخري. وقبلها اخبرني أن اطرق باب الورشة الضخمة بقوة حتى يستمع، وفعلت هذا. .اقتربت من الباب الضخم الذي في حالة من التدهور، تملئه الأتربة والقذرات بشكل لا يصدق. بدأت اطرق بقوة شديدة ومع الوقت بدأتُ أنادي علي اسمه بعدما شعرت بالتعب وأصبحنا تقريباً في منتصف الليل، حتى لحظت كاميرة المراقبة فوقي أنها تعمل ومثبته عليّ عرفت أن هنالك احد

بالداخل..،نعم بكل تأكيد هنالك أحدا بالداخل وانه يشاهدني عن طريقها أيضا.

غضبتُ بشدة علي هذا التصرف إذا كان يعرف أن أحدا يريده لماذا لا يفتح له. .اقتربت إلي الكاميرة وبدأت ألوح بيدي في صراخ:

- "افتح يا سمير ما بالك، لن ارحل حتى تفتح. .إذا اضطر الأمر سوف أبيت هنا أسبوعا "

. ورجع لي الحماس بعدها والنشاط وبدأت اطرق الباب بشدة وأنادي بصوت عالي وقوي، ألي أن سمعتُ صوتاً من خلف الباب يقول بغير وضوح ومنخفض "ارحل يا هذا، أنا لا أعرفك (صوت غريب) "، بالكاد استطيع سماع الصوت الشبه خافت وتذكرت أنني لم اذكر اسمي له بسبب حماسي وغضبي. .قولت بصوت عالي حتى يسمعني:

-أنا شحتة علام، سمير هل تتذكرني. .كنا في المدرسة . .كنا أنا وآنت من النادرين الذين يحضرون. .هل تتذكرني ؟!

بعدما قولت نفس الجملة مرتين غير هذه، جلستُ علي الأرض من شدة تعبي قولت وأنا بالكاد استطيع الكلام بعدما تعبت وانتهت حلقه النشاط والحماس المؤقتة:

-اعرف أنك تتذكرني كما أتذكرك،وأنا احتاجك بشدة وكما قولت سابقاً إذا اضطررت أن أبيت هنا، سوف أبيت لأنني في أمس الحاجة لك. .

وقبل أن أكمل سمعتُ صوت وكان صوت الباب يفتح، ابتعدتُ سريعاً وأنا أشاهد هذه البوابة الضخمة تفتح أمامي ليظهر "سمير" أخيرا ولأصدم مرة أخرى بعد رؤيتي له.

نظرت له من الأسفل إلي الأعلى، ووجدت احد الشباب يجلس علي كرسي متحرك وأضاعا رجل واحدة علي الأرض والأخرى علي مسند الكرسي، وعندما دققت أكثر وجدته أن كلتا ساقية ضعيفة ولكن ليست لدرجة عدم المشي.

جسده كله ضعيف وليس ساقية فحسب. .رفعت عيناي لأجد ملابسة المتربة والعفنة بشكلً ملحوظ، حركة أصابعه الغريبة ونظراته لها. .نعم لم يرفع رأسه لي بل ظل يشاهد حركة أصابعه الغريبة وبين كل بضع ثواني يغلق يده وكأنها قبضة ومن ثمة يفكها ويعيد حركة أصابعه وكأنه غير مبالي بوجودي

وصلتُ إلي وجهه الشاحب والتعيس وشعرة الكثيف الغير نظيف الذي نصفه ابيض والأخر اسود ولكن بدرجه ضعيفة، وعندها سألت نفسي قائلاً:

-"ما الذي حدث له. .لم يكن هكذا، كان غريباً ولكن ليس لهذه الدرجة. .ماذا جري معه ليصل إلي هذا الحال الغريب"

غضبت وحزنت علي حالة ودون شعور وجدت نفسي اقترب منه نازلاً بركبتي علي الأرض بجواره لأمسك كلتا كتفي صارخاً فيه بشدة محاولاً إفاقته من هذا، قائلاً:

-أنت، سمير.. ما الذي حدث لك. .لماذا أنت في هذا الحال أيها العبقري المخبول، ما الذي جري لك. .اخبرني لربما استطيع مساعدتك، أنت عبقري مكانك ليس هنا هل فقدت احد، هل أغضبك احد. .

وبدأت دموعي تشق طريقها متابعاً في حزن وأنا انظر له:

-أنت تتذكرني صحيح، شحتة صديقك. .هل تتذكر كنا من النادرين الذين يحضرون آلي المدرسة. .اجبني يا فتى.. ماذا حدث لك ؟!

وجدت قطرة تسقط علي ملابسه ولكن لم اعرف مصدرها ولكن تمنيت أن تكون منه وحدث هذا وجدته يرفع رأسه لي ودموعه تتساقط، وكنت أراها حقاً بعدما تحرك شعره الكثيف الذي يغطي معظم وجهه. نظر إلي وهو يبكي ويضم شفتيه خائفاً من شيء، قبل أن يحرك فمه بصعوبة محاولا الحديث قائلاً بنبرة هي لا توصف من الحزن وقبل أن يتحدث بضحك دون سبب:

-لم يحدث معي شيء.

***

كانت إجابته كراثية تحمل شيئاً غامضاً، شيئاً لن يفهمه أحدا غيري والسبب هو "سمير" في حد ذاته. .ولكي ابسط الأمر أكثر سوف اسأل

سؤالاً يلخص كل الأمر "ما الذي يفعله سمير هنا"، هذا السؤال يلخص كل شيئاً حقاً، استطيع أن اجزم أن أخر مره قد خرج من هنا كانت منذ شهور...لما "سمير" ليس عالماً ألان. .لماذا لم يأخذ جائزة نوبل التي لا قيمة لها في أيامنا الحالية. .لما لم يفيد البشرية إلي وقتنا هذا. .لماذا لم يصبح ما خلق لأجله وهو أن يكون عظيماً، لربما الإجابة المنطقية الوحيدة هي مرضه الغريب.

أخذنا بعد الوقت قبل أن ننهي من نوبة الحزن هذه، لأمسك كرسيه من الخلف وأحركه إلي الإمام قائلاً له بنبرة تشجعيه:

-هيا عليك أن تريني ورشتك الضخمة هذه.

ليبتسم قائلاً:

-ليست ورشة بل مختبر.

أخذنا حوالي نصف ساعة نتحرك في إرجاء المختبر المليء بالمعدات والأشياء الغريبة التي يقف إمامها ألمراء دون حراك ولكن بسبب تعبي لم اقدر علي تركيز فيها والي ألان لا أتذكر ما رأيته في هذا اليوم المتعب.

وعندما انتهينا، أخذني إلي أخر الورشة التي يوجد فيها غرفة صغيرة فيها بعض الكراسي وأريكة تتسع لخمسه أشخاص وحماماً في جانب الغرفة. .وصمتُ لبضع ألحظات محاولاً أن أجهز ما سوف أقوله له بسبب زيارتي له، لأجد "سمير" يقترب بكرسيه قبل أن يوقفه ويقوم بنفسه وانأ بلا حول ولا قوة لا اعرف ماذا يحدث هل يستطيع المشي أم لا هل كان يمثل أم ما

خطبه. .اقترب إلي وانأ أصبحت مندهشاً وخائفاً منه. .قبل أن يضع كلته يديه علي وجهي قائلاً وهو يحرك وجه وكأنه ثعبان. .قائلا بنبرة غامضة قويه علي عكس ما رايته قبل قليل:

-ها اخبرني لماذا أتيت لزيارتي ولماذا أنت مصرعي أن تراني ؟! أتذكرك يا شحتة لم أنساك أنت صديق قديم..،هل أتيت لزيارتي فقط أم هنالك شيئا أخر. .؟!

***

الفصل العاشر

"خطة وفريق"

أمامي "سمير" ممتلئّ بالحماسة يتشوق لمعرفه سبب حضوري، وأنا إلى الآن أحاول أن استوعب انه يستطيع المشي علي عكس ما كنت أظن منذ نظرتي الأولي له.

نظرت له رداً علي نظراته مستعداً للحديث بعدما قمتُ من علي الأريكة متجولاً من حولي وسط حضور نظرته التي لم تسقط من عليّ. .،أمسكتُ أحد الأقلام اعبث بها قبل أن أتحدث دون الالتفات له قائلاً بكل حذر وبرود:

-هل تؤمن بالعوالم الموازية أو حتى وجود عالم أخر غير عالمنا..، سمير ؟!

والتفت بعدها إلى"سمير" لأجده خلفي تماماً. .ينظر إلى بحماس شديد، لا اعلم سببه. .قبل أن يتحدث ووجه علي مقربه من أذني بعدما أبعدت نظري من حوله، محاولاً أن أتجنب نظراته ألمجنونه هذه. .،قائلاً ببرود وكأنه يختلق نوعاً من الدرامية في حديثنا. .:

-العوالم الموازية، ها. .لا ليس لها وجود حاولت البحث عنها ودراستها عدّت مرات ولم أجد شيئا. .أكد لك ليس لها وجود إلا في الأفلام والروايات التي تعتمد علي الخيال الزائد والمبالغة. .

قاطعته هنا قائلاً قبل أن يكمل حديثه بحذر وهدوء مسرعا:

-أنها..

لم استطع قول شيء لم يعطني ألفرصه، فجاءه قبل أن أكمل رفع صوته ليكمل بنفس طريقته باختلاف نبرة وقوة الصوت..مرادفاً:

-أيضا إذا ما افترضنا أن هنالك عالم موازي غير عالمنا البائس هذا. .كيف نصل إليه، وكيف نعود..وما الذي يضمن سلامتنا وكيف إذا وصلنا نضمن أننا لم نجد وحوشاً أو كائنات غيرنا. .العالم الموازي ليست إلا فكرة تُعرض في أفلامنا الخيالية فقط.

انتهي من حديثه وجلس علي كرسيه المتحرك وأنا رجعت إلي الأريكة قبل أن انظر إليه وهو يخرج من جيبه احد الأدوية تقريباً. .يستعد أن يبلعها ولكن أدهشني الأمر لقد أكلها. .،أكل حبة دواء التي هي مغلفة بالعديد من الألوان. .سألته قائلاً بدهشة ما الذي تفعله يجب أن تبلعها ولا تأكلها. .فنظر إلى بنظرة تعالي واحتقار:

-هل سوف تعلمني كيف أخد دواء أنا من أبتكره.

قبل أن يبدل نظراته إلى عدم الاهتمام ليكمل:

-انه دواء يوقف مرضي مؤقتاً أو بالحري انه مسكن اخترعته لحل هذه المشكلة . .،لا استعمله ألا في حاله جلوسي مع احد أخر حتى لا يسخر مني.

.

ابتسمتُ له قائلاً وأنا اعرف انه يتضايق حقاً من هذا الأمر:

-لا احد يسخر منك. .لا تحتاج المسكن عندما تكون معي. .نحن أصدقاء من المستحيل أن اسخر منك أو ادع احد أخر يفعل هذا وأنا بجانبك.

لم يلتفت إلى ولم أتضايق منه من ناحيتي فلقد مر بالكثير،اعرف هذا. .قبل أن ارجع إلى موضوعنا الأساسي قائلا بحماس. .:

-سمير، الأكوان الموازية حقيقة. .عليك أن تصدقني، ولما من الأساس قد اكذب عليك. .صدقني فقط.

نظر إلى هذه المرة ببرود قبل أن يشيح نظره من عليّ قائلاً:

-شحتة..،لا أقول انك كاذب أو شيئاً من هذا القبيل ولكن صدقاً، لا وجود لها..لا تحاول فأنا حاولت عديد المرات..

قبل أن يكمل..، أعاد نظره إليّ ووضع يده علي خده الأيسر. .يميل برأسه، قائلا بكل ثقة:

-إذا كنت تجزم أن لها وجود حقاً. .،اطلب منك أن تعطيني دليل. .ما رأيك إذا اثبتّ أن العالم الموازي موجود سوف اعترف به، ما رأيك!!. .وسوف استمع إلى ما سوف تقوله لأنه بكل تأكيد سبب حضورك ، أو أرجح إلى ما

سوف تطلبه مني. .ما رأيك ؟ فقط اثبت هذا علي الأقل !!دعني انظر إلى دليل وامسكه بيدي وسوف اصدق ما تقوله..

نظرت له بكل ثقة متوقعاً ما سوف ويقوله. .ضاحكاً، قائلا بكل ثقة أنا الأخر منتصباً في مكاني رافعاً كلتا يداي . .مشيراً إلى نفسي قائلاً:

-تريد دليل ها، ماذا إذا أخبرتك أن الدليل يقف إمامك الآن. .

دُهش "سمير" مني. .وكأنه لا يفهم لأول مرة منذ بداية الحديث. .وقف هو الأخر وعلي وجه العصبية مما قولته. .ليقترب إلى قائلاً بغضب واضعاً يده علي كتفي:

-ماذا تقصد ؟!.ما الذي تقوله ؟! ألا تعلم متى تتوقف يا شحتة؟! يكفي مزاحاً ومن الأساس كيف تكون أنت الدليل ؟ كيف يحدث هذا. .ما هذا المزاح!!، تباً لروح الدعابة التي تمتلكها!!

وضعتُ يدي علي كلتا كتفيه مزيحاً يده من علي كتفي...، وأنا مفعم بكل الحماسة التي يمتلكها العالم. .نظرتُ له، بعدما وجدت أن حاله قد تغير أخيرا وأصبح يريد أن يعرف ما الذي أتحدث عنه. .،وكأن الحياة قد عادت له وأفاق من الجنون. .،من حالة الخمول التي كان فيها. .قولت بثقة إني علي وشك تكرار قصة جدي بكل تفصيلها أو بالحري انقلها إلى الواقف أمامي "سمير". .قائلاً :

-اجلس يا صديقي القديم فأنت علي وشك سماع احد القصص التي لم تسمع بها من قبل. .أو كما تقول تعرض فقط في الأفلام والروايات. .اجلس فقط واستمع بتركيز.

وقبل أن أكمل ضحكت عليه قائلا:

-في نهاية الأمر سوف أخبرك ما الذي أريده من مجنون مثلك..

***

انتهيت من حديثي مع "سمير" وأخبرته القصة من بدايتها كما فعل جدي معي. .أخبرته إنني أتيت من العالم الذي اكتشفه أبي وان أمي بنسبه كبيرة من هناك وهذا يثبت أن الكائنات في هذا العالم بشر مثلنا مع احتمالية اختلاف البيئة والعصر ربما فأنا لا استطيع الجزم بشيء، بالطبع هذا احتمال.

أخبرته عن حديث أبي وجدي وعن ألمعانه التي لمح بها أبي معه. .أخبرته عن حماسي وشوقي لمعرفه سبب تركه لي وأيضا لمعرفه هوية أمي. .،انتهي الحديث في ساعتين تقريباً أو اقل. .كان "سمير" يسمع فقط دون مقاطعة وكانت ملامحه تتغير مع كل حدث وتفصليه اخبره بها. .إلي أن انتهيت قائلاً بتعب بسبب أن الوقت قد تأخر وأنا لم انم جيدا أمس:

-ما رأيك ؟! صدقني أنا لا أخدعك ومستعداً أن أجيبك علي جميع أسألتك فقط اخبرني ما تريد معرفته.

وقف "سمير" للمرة الثانية من علي كرسيه، وهو مفعم ألحماسه والتي نفذت مني صارحتاً قائلا وهو حائر:

-شحته، أصدقك ولكن أنت لست دليل يكفي. .

ثم صمت وأكمل مقترباً مني مرادفا:

-لقد ذكرت بعض الرسومات التي تشير إلى احد المناطق التي تُفتح فيها البوابة كما ذكرت. .حسناً أريد أن أرها جميعها وحينها استطيع أن أساعدك في بناء الغواصة. .

تعجبت منه وكنتُ علي وشك أن اسأله عن كيف عرف بشأن الغواصة، قبل أن يشير إلى بيده لكي اصمتُ، متابعاً:

-لقد ذكرت أن هذه المنطقة تقع في وسط المحيط إذا من المستحيل أن تفتح البوابة من علي سطح لكن أحداً قد أكتشفها قبل وقتٍ طويل.

-إذا فهي وبنسبه كبيره ستكون في القاع، وهذا يصعب المهمة أكثر. .لأننا سنتعرض لضغط شديد من الممكن أن يسحقنا علينا أن نقاومه. .ولحسن الحظ أنني اعرف ألطريقه. .ولكن هنالك مشكلة اكبر وهي المال. .،ولكن استطيع المراوغة وان اشتري نموذج قديم من احد الغواصات الحربية أو حتى السياحية واعدل عليها وأطورها. .سوف يساعدنا أبي لكي نحصل علي واحدة ولكن أيضا هذا لا يكفي، من أين سنحصل علي المال.. ؟!

انتهي من حديثه، وكأنه يحاور نفسه. .فقط أنا استمع إليه وهو يتحرك في إرجاء الغرفة. .انه عبقري يجب أن أقر بهذا.

قبل أن يجلس علي كرسيه منتظراً ردي عليه، وقبل أن أفتح فآي رن هاتفي. .وكان المتصل صديقي "مراد" فتجاهلتُ المكالمة قبل أن يرن مرة أخري لأتجاهله للمرة ثانية. .ثم أغلقت هاتفي، قائلاً بتردد:

-المال هو المشكلة اعرف سمير، ولكن هنالك خلود صديقتي من الممكن أن تساعدنا في الحصول علي المال..، والديها أثرياء. .إذا طلبت منها من المرجح أن توافق وإذا لم توافق فانتهي الأمر. .

قبل أن يرد "سمير" قائلاً بنبرة سخرية:

-إذا. .،فمصير كل هذا في يد فتاة مدللة. .حسنا أنا معك سوف اذهب معك لأشاهد الرسومات..

وقام متحمساً رافعاً يده قائلاً بصوت عالي:

-الآن لنذهب إلى المكان الذي فيه الرسومات ولنقابل المدللة. .

قاطعته هنا مازحاً معه:

-لا اضمن أن نرجع أحياء يا صديقي.

ليرد قائلاً:

-لا اهتم، علي الأقل إذا واصلنا لهذا العالم أو موتنا قبل أن نصل، فالي الفخر أني حاولت معك. .وغير كل هذا لقد مللت من هذا العالم كنت قد قررت الموت من الأساس..، فلا فرق.

ومد لي يده وأنا بالمثل، لنتصافح وأعيننا تُملئها الحماس.

***

تحركنا في صباح اليوم التالي. .،لم ننم إلا أربع ساعات تقريباً وكان التعب ظاهراً عليّ بوجه التحديد وصلنا إلى محطة القطار وركبنا وأنا أسند "سمير" لأنه رفض أن يأتي بالكرسي المتحرك، ولم أقدر عليه وفعل ما يريده وها أنا أسنده إذا شعر بالتعب.

ركبنا وإذا واصلنا لمنتصف الطريق أخرجت هاتفي لكي أتفقد "خلود" مطالباً أيها أن تذهب لعنوان منزلي وان تنتظرني مع جدي إلى أن أتي..، وحدث هذا بالفعل وقد أجابت علي ووافقت بعدما بعد إلحاحي الشديد. .وصفتُ لها العنوان وقالت أنها سوف تذهب الآن ولكن أخبرتها أني سأصل في خلال ساعتين ونصف تقريباً لكي لا تتعجل.

أغلقت المكالمة وبصدفه رن "مراد" مرة أخري ولكن فضلت أن لا أجيب وأغلق الهاتف مرة أخري..لألتفت إلى"سمير" المتعجب حيال "مراد" ولما لا أجيبه فأخبرته وأنا لا ابدي أي اهتمام:

-أن مراد صديقي ولكن لا أريد الإجابة عليه الآن لأنني.

وتوقفت قبل أن أكمل:

-لأنني لا أريده أن يعرف حيال هذا الأمر أبدا. .،لا استطيع الكذب عليه. .مراد من اقرب أصدقائي واعتبره أخ لي مثلك تماماً، وإذا علم بما أنا فيه الآن سوف يفرض نفسه أن يساعدني بأي شكل وأنا لا أريد توريط أي أحدا أخر يكفي انك معي. .لا أريد أن نذهب بعدد. .أريد اقل خسائر أن وجدت بالطبع. . وأيضا أنا وأنت نكفي.

قبل أن يتحدث "سمير" وهو ينظر إلى نافذة القطار قائلا بهدوء:

-ماذا عن خلود؟!

لأتعجب

مجيب

أ:

ماذا عنها ؟!

ليلتفت "سمير" بعصبيه قائلا:

-كيف ستخبرها يا أحمق بأمر المال ؟!

لأنظر له قائلاً بتروي:

-كما قولت سمير، أنها فتاة مدللة سوف تشفق علينا بالمال فقط . .سوف نخبرها بكل شيء وسوف تخاف. .لا تقلق.

فنظر إلى"سمير" بعدما اقتنع بكلامي قائلا:

-وجهة نظر تحترم شحتة. .كلامك منطقي.

قبل أن يتابع "سمير" قائلاً:

-اخبرني عن مراد أكثر. .لكي نضيع الوقت في طريقنا..

هززت رأسي ايجابيا له قبل أن أتحدث عن كيف قابلت "مراد" وبعد الذكريات معه.

إلي أن واصلنا أخيرا أمام باب المنزل. .استمع إلى صوت "خلود" في داخل تضحك وتتحدث مع جدي. .،أخرجت المفاتيح وبجانبي "سمير" لندخل ونلقي التحية عليهم. .قبل أن اخبر جدي أن يفتح باب الغرفة لندخل أنا و"سمير" وخلفنا "خلود" التي تساءلت عن سبب وجودها هنا. .،ولكن فضلت أن اخبرها أن تنتظر إلى أن تدخل الغرفة معانا ثلاثتنا.

***

انتهي الأمر بالكمال. .،انتهي سمير من جمع الملاحظات والنظر إلى الرسومات، وانتهيت بدوري أنا الأخر من شرح كل ما حدث لـ"خلود". .،حتى الجد كان بدوره يجيب علي أسئلة "سمير" وكان أهمها عن معاد فتح البوابة. .والذي فضل الجد أن لا يجيب ويماطل في الإجابة إلى أن يعرف الخطة.

خرجنا من الغرفة، تاركين الباب المفتوح. .،لتذهب خلود لتحضير الشاي وملامح التعجب لم تغب عنها ورغم هذا فضلت أن لا تسأل واكتفت بسماع أسئلة "سمير" وإجابات "الجد" والتي حقيقتاً لم تؤثر علي مجري الإحداث فجميعها متعلقة بتاريخ.

مثل "متى جاء علام" وأيضا "ما شكل ملابسة". .وأشياء من هذا القبيل.

جلسنا أمام الشاي ننظر لبعضنا البعض دون حديث..، قررت أن افتح هاتفي لأجد مراد مازال يهاتفني. .لأقرر أن أجيب عليه، اعتقد انه قلق فأنا لم أهاتفه اليومين السابقين أو أكثر. .أجبت عليه من هنا ليصعقني

بالسباب من الناحية الأخرى قائلاً بشدة وعصبية وعلي نبرة صوته القلق.
.حتى أنني قمت لأذهب إلى غرفتي لألا يسمع احد سبة الشديد:
-يومان أيها اللعين، أين أنت يا ملك الحمق يا وزير أللعناء في هذا العالم ؟! أين كنت أيها السيد الذي لا يسمح كبريائك بالرد علي؟! يا لعين. ..،يا تعيس..
أجابته بضحك:
-ملك ألحمقه بخير في قصره. .لا تقلق، أين أنت الآن ؟!
ليجيب الأخر بسخرية:
-أسفل قصر الملك، هل تسمح سيادتك أن تنظر إلى من النافذة !!
تغيرت ملامحي سريعاً ولا اعرف ماذا أفعل بعدما فتحت نافذة غرفتي لأرّه "مراد" يشير إلى بيده معلنا انه بعد اقل نصف دقيقة سوف يكون أمام باب المنزل يطرقه. .وهذا ليس الوقت المناسب أبدا.
خرجتُ مسرعاً لأخبرهم أن "مراد" احد أصدقائي سوف يكون هنا بعد لحظات ونظرت لهم قائلاً بحذر:
-لا تتحدثوا معه عن أي شيء فيما يحدث، سوف أخذه إلى غرفتي وسوف أحاول أن انهي معه الحديث سريعا. .أو لنذهب لمكان أخر، الأهم أن تلتزموا الصمت.
وأردفتُ قائلاً بسخرية:
-سوف انتهي سريعاً لنكمل صمتنا..

واقتربتُ من "سمير" هامساً في أذنه قائلا:

-اخبر خلود، عن المال إلى انتهي من مراد.

لهز "سمير" رئسه ايجابيا.

فتحت باب المنزل مستقبلا "مراد" بالأحضان بعدما كاد أن يوقعني برجله مازحاً معي فهو ضخم البنية، صدره البارز بالعضلات. .حجم أرجله الضخمة. .،شعرة الطويل، اعتقد أن نسله من البرابرة أو "الفايكنغ".

فدلف صديقي وعرفته علي سمير وكدنا أن نذهب في طريقنا قبل أن يقاطعني "سمير" قائلاً دون النظر إلى وكأنه يعرف أن هذا ضد ما قولته سابقاً. .والجميع ينظر إليه بدهشة بسبب تصرفه هذا:

-لما لا تجلسوا معانا. .فما أنا علي وشك قوله يجب أن يسمعوه كل الحاضرين.

لا حول لي ولا قوة لا اعرف ماذا افعل أمام هذا المجنون إلا الطاعة. .،هنالك شيء يريد أن يفعله..، ولكن ما هو. .لماذا يريد إقحام "مراد" عكس ما أخبرته به. .ماذا يدور في عقلك يا "سمير"؟!

قام سمير ناظراً إلى بحزم وشده قائلاً إلى..لا لحظة ربما كان ينظر إلى ولكنه كان يتحدث إلى جميع قائلاً وهو سعيد. .نعم هذا هو الوصف الدقيق لحالته الآن كان سعيداً ومتحمساً:

-هنالك تغير في ألخطه يا شحتة، نحتاج صديقك مراد الآن في فريقنا الذي سيتكون من ثلاثة وليس اثنين. .نحتاج حماية، ألا ترّ جسده الضخم هذا، حتى أذا كان جباناً لن يعرف احد بسبب الضخامة هذه. .

ألتفت إلى مراد وأردف :

-مراد هل أنت متفرغ لتأتي في رحلة. .ربما تستغرق أعوام. .أو حتى لربما تستغرق عمرك كله. .أو ربما حياتك!؟

وشاح نظره عن "مراد" لينظر إلى:

-شحتة. .اخبره كل شيء الآن.

نظرتُ إليه بشدّه دون تصرف. .،لقد سيطر عليّ. .لقد أقنعني نحن نحتاج احد ليوفر لنا الحماية ولكن جعلني هذا أفكر قليلاً، "سمير" عالم يستطيع البناء والتفكيك آو حتي التطوير. .لماذا لا يصنع الأسلحة فقط ونستخدمها لتحمينا. .سألتُ نفسي سريعاً لان علي طاعة الوحش المجنون أمامي قبل أن يفعل شيء أخر لا أتوقعه.

للمرة الثلاثة بعدما شرحت الإحداث لـ"سمير" وخلود ها أنا اشرحها لـ"مراد". .للمرة الأولي اخذ كلامي علي انه مزاح مثل "خلود" و"سمير" سابقاً لكن سرعان مع أخذته ليرّ الغرفة ويرّ الرسومات وان يتأكد من كلامي. .لينظر إلى للحظات قبل أن يبعد نظره من عليّ ليوجه لـ"سمير" قائلاً وكأنه يتحدث لـ"خلود" بنظرات تعجب، وهذا غريبٌ بنسبة إلى. .فأنا لم أعلم أنه يكن لها بعض المشاعر..لم يخبرني هذا الضخم من قبل:

-استطيع أن أتي معكم ليست لدي مشكله فأنا مللت من هذا العالم وأصبحت أبغضة بشده بسبب شيء قد حدث مع والدتي سابقاً دون الدخول في تفاصيل. .لهذا نعم أنا معكم.

قبل أن يصمت وينظر إلى قائلاً:

-شحتة، أين سنحصل علي. .؟!

لتقاطعه "خلود" للمرة الأولي لتكسر الصمت الذي تملكها منذ أنا سمعت الأحداث للمرة الأولي قائلة وهي تنظر إلى:

-شحتة، تحتاجني لكي أمول هذه الرحلة صحيح ؟!

لأهز رأسي ايجابيا دون كلام خجلاً ، لتكمل هي:

-ليس لدي مانع ولكن لدي شرط واحد !!

لأهز راسي للمرة الثانية ايجابيا بفرح وكلي أمل وسط ترقب الجميع. .لأن لا شيء سوف يحدث دونها، لتكمل مرة أخري:

-سوف اذهب معكم. .هذا هو شرطي الوحيد. .ما رأيكم ؟!

نظرت إلى"سمير" ورد النظرة هو الآخر في نفس اللحظة. .،لأن هذا عكس ما توقعنا.

توقعت أن تعطينا المال وان لا تأتي ولكن أن تعطينا المال وتذهب. .هذا يخالف توقعاتنا. .حتى آني توقعت أن ترفض من الأساس، ولكن أن تأتي معانا. .هذا غريب. .لم اعلم ماذا علي أن افعل ولا حتى "سمير" الذي نظر إليها متعجباً..، أما "مراد" فكتفي بمشاهدتنا فقط وظل ينظر إليها.

قبل أن يقاطع جدي كل هذه النظرات ضاحكا بغرابة وقبل أن يقوم من علي كرسيه مستندا علي "خلود" قبل أن أقاطع ضحكاته قائلاً:

-جدي، اجلس علي كرسيك. .ولماذا تضحك من الأساس ؟!

لينظر جدي إلى والي "سمير" وأيضا "مراد" قائلاً. .بضحك وثقة:

-لقد نجحت شحتة، لقد وجدت الطريقة التي تذهب بها آنت وأصدقائك. .الآن سوف أخبركم عن موعد فتح البوابة. .

قبل أن يصمت وتتغير ملامحه للجمود:

-اليوم تغلق البوابة. .وهذا يعني أن عليكم أن تنتظروا ثلاث سنوات وربع قادمة. .لكي تتفتح مرة أخري.

ونزل كلام جدي كصاعقة علينا جميعاً إلا "سمير" الذي لم تتغير ملامحه ليبتسم ويبدأ بالضحك وسط ذهولنا جميعاً من حالته، وقبل أن يفتح أحد فاه ليسأله عن سبب كل هذا قال فجأة رافعاً وجهه إلينا وعليه نظرات غريبة كأنه يتحدى نفسه:

-هذا وقتٍ قليل. .ولكن نعم. .،نعم سوف أقبل هذا التحدي. .سوف أنجز الغواصة قبل أن يحين الموعود. .

***

الفصل الحادي عشر والأخير

"ركلة البداية"

مراد..

جلس مراد علي سريره، وهو علي وشك الغرق في نوم بعدما سمع قصة صديقة "شحتة" التي يجب أن لا تصدق. .ولكن وبرغم من هذا صدقها دون ادني شك بعدما تأكد من نظرات صديقة انه لا يمزح.

مراد الحائر يفكر، وما من إجابات. .حتى قرر أن يقوم وينظر من النافذة حتى يُنشط من نفسه قليلاً بعدما قرر أن يفكر أكثر، وأكثر في كل ما جرى. ينظر إلى القمر الذي بالكاد ينير وسط الدخان والأتربة بسبب كثرة المصانع المجاورة في هذه المنطقة. .،ينظر إلى القمر وكأنه ينظر إلى حبيبته، يتذكر كلام الجد عندما قال "اليوم تغلق البوابة" وسط اندهاش حفيدة وردة فعل سمير .

يتذكر جلوسهم في صمت بعدما اتخذوا قرارا بتأجيل الاتفاق إلى أسبوعين، أو بالتحديد عندما يهاتفهم "شحتة". .وهذا القرار هو الأصح في وقتنا هذا. .لكي يفكروا بكل هدوء فالوقت معهم الآن..، وهذا بسبب أن

هنالك حوالي ثلاث سنوات وربع تقريباً حتى تفتح البوابة لهذا العالم الموازي أو العالم الأخر كلها مسميات لا احد يعرف حقيقتها إلى الآن.

مازال "مراد" يفكر في قراره الذي قد اتخذه سابقاً وهو الذهاب، فهو يكره هذا المكان ويريد المغادرة أو الموت. .لا يملك الرغبة في العيش خاصةً بعد موت جدته ومعرفة تاريخ "صلة الدين " بالكامل ومعرفة التاريخ شبه المخفي.

رفع مراد كلته يداه علي وجه. .يصفع نفسه، يشعل نفسه بالحماسة قائلاً وهو ينظر إلى القمر بشدة:

-شحتة، انتظرك. .،انتظرك أن تطلب مني القدوم معك بصحبة سمير وخلود.

وصمت قبل أن يصرخ بصوت مرتفع متابعاً:

-أنا معكم.. يا أصدقاء.

ليقاطعه احد العجائز المارين في شارع ساخراً منه:

-وأنا معك يا أحمق.

مر يوم. .مر يومين، ثلاثة. .أسبوع. .،لا جديد يذكر يحاول مراد الاتصال بصديقة دون رد. .حتى انه فكر أن يذهب له ولكن يتراجع عن هذا كل مرة بسبب انه يعرف أن صديقة يفكر ويحتاج المزيد من الوقت.

يجلس مراد في مكان جدته المفضلة ناظرا إلى صورتها بجانب صورة أمه..، أمامه الهاتف ينتظر الفرج. .حتى رن الهاتف أخيرا وكان المتصل صديقة شحتة.

ليجيب مراد مسرعاً. .

***

خلود..

تجلس خلود أمام عتبة باب منزلها، مستنده علي الحائط وكأنها شبه نائمة أو ربما في حالة من السرحان وعدم الوعي بعدما احتست الخمر بكثرة. .تفكر في كلام صديقها شحتة واحتاجه للمال لكي يذهب إلى هذا المكان الغير موجود علي خرائط علي حد ما فهمت . .ولكن طالما شحتة لا يمزح فهو موجود بكل تأكيد رغم انه من الصعب التصديق. .تقول في نفسها وهي تهذي من تأثير الخمر:

-لماذا طلبتُ أن اذهب معهم. .كان بإمكاني أن أعطيهم المال أو حتى ارفض وحسب ولكن لماذا تحركت شفتاي وقتها؟!

حتى مر عليها احد جيرانها الذي ظن أنها مريضة وتحتاج المساعدة. .،حتى أفاقها سريعاً ليطلب أن تذهب معه إلى مشفي ليطمئن عليها. . لتخبره أنها بخير وتحتاج الراحة فقط. .،أخرجت خلود مفاتيح شقتها وهي مستنده علي جارها لتعطيه المفاتيح طالباً منه أن يفتح لها الباب. .وحدث هذا وشكرته، واستراحت علي الأريكة.

مستلقية تتذكر احد مشجرات عائلتها التي هي شبه مفككة. .،والدها الذي لا يفكر إلا في عمله ووالدتها علي نفس الحال والاثنان دائما علي سفر.
تتذكر أحد المرات التي جعلتها في حالة من اليأس عندما طلبت منهم أن تلتحق بأحد الكليات الفنية والتي رفض أهلها الموافقة علي هذا. .كانت تحب الفن الرسم والتصميم وكل ما يتعلق بهذا الأمر. .،ورغم كل هذا تم الرفض وتم إجبارها أن تدخل احد الكليات الأخرى. .كانت في حالة من الغضب فهي بالكاد تراهم مرة كل عام مجتمعين. .لماذا هم من اتخذوا القرار ؟!. .فكرت حينها هكذا.. ، أثرياء رغم عدم اعتمادها عليهم لماذا هم ما اتخذوا هذا القرار ؟! لماذا هم من حددوا مستقبلي ؟!
أصبحت خلود من تردد هذا الكلام وهي وحدها. .حتى نظرت إلى جانبها وتخيلت شحتة يجلس بجانبها..تتذكر كيف تعرفت عليه أو لا في لم تتعرف عليه كانت مجرد صدفة أو شيئا نستطيع القول انه تعارف سطحي. .،شحتة معروف في إرجاء الجامعة. .فهو يملك روح القيادة ودعابة أيضا، الجميع يحبه..وهذا الذي ظهر يوم حريق المدرج المشئوم.
كنا في حالة من الرعب حتى قام احد الشباب يصرخ قائلاً وعلي وجه الشجاعة :
-إذا كنتم تريدون الخروج سالمين. .،هلموا ورائي وانتم عميان.
نعم هذا اليوم الذي عرفت من هو شحتة الطالب الذي يعيش مع جده فقط. .قليل الكلام كثير الفعل. .اليوم الذي كان من المفترض أن نموت

فيه ولكن لا تم إنقاذنا مع القليل من الخسائر التي حدثت، وكل الفضل يرجع لهذا الشاب.

نظرت إلى جانبها تقول وكأنها تتحدث معه وهي تتوسل أن يخذها معه . .،فقالت تبتسم وعيناها تلمعان بالدموع:

-شحتة أريد الذاهب لقد انتهت حياتي هنا قبل أن تبدءا. .هذا العالم لا قيمة له بنسبة لي، أذا كان ما قولته أنت وجدك صحيح أرجوك إذا دعني اذهب معك.

ثمة صمتّ قبل أن تكمل ودموع علي وشك أن تشق طريقها:

-ربما تعتقد انك من تحتاجني لأجل المال ولكن لا. .صدقني أنا التي احتاجك. .وليس أنت،شحتة اطلب مني أتي معك أترجاك أن تفعل هذا، أنت الأمل الوحيد بنسبة لي الآن. .

توقفت عن البكاء مردفةً بعدما مسحت الدموع من علي خديها :

-شحتة، انتظرك. .فقط اطلب مني أن أتي معك ولن أخذلك أبدا..سوف أتي بالمال ولكن مقابلة مدّني بالأمل فقط..هذا هو طلبي الوحيد.

تنتظر خلود علي أحر من الجمر فقد مر أربعة أيام تقريباً وخلود تنظر مكالمة شحتة. .لو عليها لذهبت لتطمئن عليه . .ولكن لا، فهي تعرف أن شحتة يفكر ويفكر دون توقف فهو دائماً هكذا . .تجلس خلود دون فعل شيء تشاهد التلفاز الضوئي، حتى دق الباب مرة. .لم تسمع المرة الأولي ربما

أحست ولكن لم تكن علي يقين. .،حتى دق مرة أخري فقامت مسرعة هذه المرة. .لتفتح الباب وتجد أمامها أخر أمالها في هذا العالم البائس.
تجد أمامها صديقها شحتة. .

***

علي لسان راوي قصتنا وبطلنا شحتة علام..

رحل "مراد" و"خلود" وتبقي "سمير" وبالطبع الجد. .،كانت الواحدة بعد منتصف الليل عندما غادروا جميعاً. . "مراد" أوصل "خلود" وبقي "سمير" بسبب بعد المسافة. .ولكن ليست هذه الحقيقة..، بالطبع كان سيبقي بسبب بعد منزلة ومرضه ولكن لم يكن هذا السبب الوحيد. .فضل أن يبقي لكي نحدد خططنا أذا كُنا سنذهب حقاً وأيضا لمعرفة سبب أخباره لـ"مراد" عن كل شيء وهذا عكس ما قالته له.

ذهبتُ لغرفتي بعدما اطمأننت علي جدي الذي ذهب في نوم من صعوبة هذا اليوم وأخبرت "سمير" انه من الممكن أن ينام في غرفة أبي وان الغرفة تحت تصرفه ليبحث به بكل أريحيه دون عوائق بالطبع. .،ذهبت لغرفتي لأستريح.

لبضع الوقت أفكر في ما الذي يجب فعله والذي قد فعلته. .هل كان علي أخبار "سمير" من البداية وهل "خلود" هي الخيار الوحيد لتمويل شراء النموذج الأولي لتطويره ليتحمل ما نحن علي وشك فعله والذاهب إلى أعمق نقطة في المحيط وأخطرها، هذا بالطبع إذا كانت البوابة لم تفتح

من سطح والذي هو احتمال ضئيل من المستحيل أن يحدث. .وأيضا لماذا اخبر "سمير".. "مراد" بكل شيء بماذا يفكر هذا المجنون. .هل كنت متسرعاً!! أم ما فعلته كان الشيء الصحيح.

دون أن اشعر وجدت "سمير" يجلس بجانبي علي سريري، لم اشعر به حقاً ربما من شدة تعبي.

وكأنه شبح. .لم اشعر به. .فزعت بالطبع وأمسكت به من قميصه صارخا بغضب:

-أنت، هل تحاول قتلي أم ماذا؟!

لينظر إلى ضاحكاً، قائلا:

-لا تقلقك أنا إنسان مسالم لا أمس شيء بضرر أبدا. .،دعك من هذا الآن. .اعرف انك حائر الآن، ولكن اعرف انك أيضا غاضب مني لأخباري مراد بكل شيء. .حسنا كان يجب أن افعل هذا، لقد ذكرت سابقاً انه في كلية الشرطة وعلي وشك أن يتخرج في حديثنا في القطار وان أبيه أيضا شرطي أذا. .

وصمت "سمير" مشيرا ل"شحتة" أن يكمل. .ليكمل وعليه نظارات الحائرة والمتضاربة:

-إذا كنت تقصد أننا نحتاجه لسبب الأمان فهذا شيء جيد لكن نستطيع تعويضه بشراء بعض الأسلحة من نفس الشخص الذي سنشتري منه نموذج الأولي أين المشكلة. .أو حتى تستطيع صنعها أنت..

لينظر إليه "سمير" ساخراً منه:

-ساذج أنت يا صديقي، دعني أسالك هل أنت مستعد لقتل احد هناك إذا احتاج الأمر ؟! اخبرني ربما تقول نعم إذا وجب فعل هذا سوف اقتله وهذا عكسي تماماً. .شحتة أنا لا استطيع أن اقتل احد مهما كان السبب. .حتى أذا كنت علي وشك الموت لا استطيع أن اقتل احد لإنقاذك. .

وصمت "سمير" ناظرا لـ"شحتة" قبل أن يكمل جديا:

-مراد سوف يكون المسئول عن حمايتي تماما وربما الفتاة البلهاء الأخرى أيضا التي لم نحدد مصيرها إلى الآن. .هل فهمت ؟

- أنت قوي أما أنا أو هي لا. .فكرت في البداية أن وجود مراد سيكون لحمايتي فقط ولكن تأكدت أيضا عندما قالت هذا البلهاء انه شرطها الوحيد لتعطينا المال هي أن تأتي جعلني أفكر أن وجود مراد لا بد منه..جسده القوي سوف يبعدنا عن المشاكل بنسبة لا بأس بها.

وكاد أن يتحدث "شحتة" قبل أن يقاطعه "سمير" مرة أخري وهو يجلس علي سرير عكس اتجاه "شحتة" وكأنه لا يريد أن يكمل ناظراً له:

-عليك أن تعرف شيء يا صديقي القديم، في هذا العالم لا مانع لدي أن أموت. .ولكن إذا عبرنا البوابة فأنا أفضل أن لا يحدث هذا

- أنت سوف تبحث عن أبيك وأمك وهذا شيء ليس لي علاقة به..،بنسبة لي أنا فسوف ادرس هذا العالم من البداية واعرف كل شيء عنه إذا كان عالم أخر أم إذا كان عالم موازي. .

-أذا كان الخيار لمراد أن يموت لك أو لي فسوف يموت لي وأذا كنت علي وشك الموت هناك لن أساعدك ولن ادع مراد يفعل هذا أيضا. .. .أتحدث معك صارحتا، أذا ما عبرنا البوابة فسوف انتظر الوقت المناسب لنتفرق أنا ومراد. .أما البلهاء فلك كل الحرية أن تأخذها معك ولا أمانع أن ابقي وتغادروا عندما تجد ما تبحث عنه. .خذ الغواصة افعل ما تريد..هل فهمت ما اقصده يا شحتة،أذا وصلنا هناك لن أضحي بحياتي لأحد أبدا.

وصمت "سمير" بعد كل هذا وبالجانب الأخر "شحتة" قبل أن يقوم الأخير . .يمد له يده قائلاً وهو في قمة نشاطه وكأنه نسي تعبه:

-إذا. .يا صديقي القديم علينا البدء في وضع خطة، ما رأيك ؟!

ليقوم "سمير" يمد يده هو الأخر مصافحاً "شحتة" قائلاً بحماسة هو الأخر:

-نعم. .يجب أن نبدأ. .

قبل أن يضحك سمير متابعاً:

-ولكن من الغد فأنا قد تعبت.

ليرد "شحتة" الضاحكات هو الأخير..

***

هنالك بعيداً في مكان لا وجود له علي الخر ائط. .عالماً سوف يغير جميع أبطالنا:

شحتة

شادن

سمير

مراد

خلود

وغيرهم كثيرون..

شادن..

الطقس الحار مع التعب وقلة النوم يجعل مني جثة هامدة، ولكن نداء العمل لا تستطيع أن تتجاهله. .الطريق لـ"غرفة الكلمة" يجعلني في حيرة كبيرة عن موضعي السياسي السري، لدينا خطة لبدأ الحرب ولكن النبوءة التي قالها "علام" والدي قبل إعدامه تجعلنا في وضع الانتظار.

كل شيء له وقت محدد ولكن لقد مرت قرابة الخمس عشرة عام ونحن ننتظر مجيء فتي النبوة من أعماق محيطنا المقدس. .،من هذا؟!. .لا احد يعلم إلا والدي فقط. .هذا ما أفكر فيه كل يوم في طريقي لعملي. .ادعي "شادن علام" ابن المحرر والملقب أيضاً بابصان. .الرجل الذي جاء إلى هذا العالم بواسطة الإله "أمون". .هذا المعروف في قصصنا أو بين عامة الشعب في أرضنا الفقيرة ولكن أبي ليس بابن الإله أو شيء من هذا القبيل أبدا بل هو أبسط من هذا. .كان رجلً عادياً ظهر فجأةً، أحبنا ومد لنا يداه وانتشلنا من العبادة ولو لوقتٍ قصير.

وصلتُ إلى مكان عملي والذي يسمي كما قولت سابقاً بـ"غرفة الكلمة" المكان الذي نعلم فيه الصغار والشباب وحتى العجائز. .التاريخ والكتابة.
"غرفة الكلمة" احد أفكار أبي في ألخطه الكبيرة لتطوير بلدنا والتي تسمي "اللد" والتي تبتسم بكل ما هو سيء. .،الشذوذ والفجر وعدم النظام، القتل. .الفساد، واحد أشهر ما تبتسم به بلدنا وهو تجارة الرقيق. .حاول أبي حل كل هذا ولكن فشل بسبب أعدائنا في البلد المجاورة لنا والتي تدعي "مجيدو" البلد التي تسببت لنا بجميع المشاكل. .لا احد يعلم كيف بداء هذا ولكن كل ما نعرفه أن الأمر قد بداء قبل عدّة قرون. .يكرهونا ويبغضوننا يريدون كل ما هو شر لنا.
لم يتحدث التاريخ عن سبب كل هذا، كأن هنالك فجوة لا يعلمها إلا الساكن في "ارض الفرصة" والتي تقع أسفل جدار " فايان " الجدار الفاصل بيننا وبينهم. .الجدار الذي بني بواسطة أجدادنا متحدين في بداية الدورة قبل وقت طويل. .الجدار الذي ترجم أبي رموزه وذهب أسفله لسكان أرض الفرصة وعلم كل شيئاً فيه. .علم أسرار عالمنا وأعدم بعدها بسبب الخيانة التي تعرض لها.
جدار "فايان" معروف بضخامته وصلابته وطوله وهو أعظم عمل قد تشاهده. .النقوش والرموز التي عليه هي من لغة قديمة لا احد يعلمها إلا والدي الوحيد الذي فك لغز هذا الرموز أو كما نقول عليها ألان "لغة باربوسة" وحين انتهى من ترجمتها ورحلته إلى أرض الفرصة ، أمسك به

جيش الملك "بوأب التاسع عشر" وقد اعدم في "ضاريح إبليس" والذي يقع داخل سور "موران" وهو سور متفرع من الجدار العظيم.

كانت بلدنا تحتاج إلى موحد وحصلنا عليه. .أبي الذي اتفق عليه الجميع دون إي استثناء. .وحد جميع القبائل في بلدنا الشمال والجنوب فعل كل شيء. .نشكر "أمون" الذي وهبة لنا وتباً واللعنة علي بلاد "مجيدو" الذي أخذوه منا.، المنقذ والمحرر..، وكاسر السلاسل. .الكثير من الصفات التي أطلقت عليه تدل علي حبنا له. .حاول أن ينقذنا، والي الآن بواسطة نبوءته مازال يحاول وكل ما نستطيع فعله هو انتظار الفتي المقدس الذي سيولد من بحر الذهب.

اليوم الذي ستظهر فيه يا فتي سوف أسدد ضربة في وجهك علي جعلنا ننتظر كل هذا. .،حقاً لقد وصل الآمر أن ينسي معظم شعبنا الثقة في هذه النبوءة بسبب كل هذا التأخير.

انتهيت من الدرس في "غرفة الكلمة" واتجهت إلى منزل والدتي. .ليس بمنزل بالتحديد.. بل كوخ من الخشب فوقها الكثير من القش.

"نورسين" والدتي أجمل شيء قد تستطيع أن تتخيلهُ. .جمال أعينها الخضراء وقوامها الذي لا يوحي أنها والدتي أبدا. .شعرها المميز الأخضر والذي يؤكد أنها ليست من بلادنا لا بل من بلاد أخري مجاورة. .بدأتُ أدق الباب ولم تجب حينها قررت الذاهب إلى الشاطئ ربما أجدها هنالك

كالعادة لأنهُ المكان التي تعرفت عليه علي والدي عندما ظهر أول مرة علي واقع كلامها معي.

في طريقي إلى شاطئ فكرتُ بكلام حكيم بلادنا "سليمان السابع" صاحب البنية القوية رغم سمنته الواضحة. .وشعره الذي اجزم انه لم يولد بشعر من الأساس. .وثوبه القديم رغم أموله وثرواته التي لا تقدر. ."سليمان" لغز لم يفسره احد حتى والدي نفسه عجز أن يعرف عنه شيء..، أعطاني لفافة منذ مدة ليست بالقصيرة. .،والتي اخبرني أنها الكلمات التي ترجمها والدي من علي الجدار..، قبل أن يقبضه عليهِ بعدها علي الفور، وكان المكتوب فيها "قال قيافا: الآلهة كلها تتصارع علي مكانتها والبشر أدوات إلى أن يأتي الثاني بعد الأول وليس الأول من يجب أتباعه،الثاني المميز ويمتلك ما لم....."

كانت هذا الرموز التي تمت ترجمتها علي جدار "فايان" بالتحديد في مكان يدعي "قيافا" والذي تمت تسميته بهذا بعد تفسير أبي للرموز في هذا المكان. .وانتشر الخبر في أرجاء البلاد بين "الليد" و"مجيدو".

بعد كل هذا التفكير، وجدتُ نفسي قد وصلت إلى شاطئ ووجدت أمي هناك. .فنظرتُ إلى البحر الأصفر الجميل، وقد بدء الغروب في مشهد جميل، ذهبت إلى أمي دون قول أي كلمة نشاهد فقط هذا المشهد البديع والخلاب.

كانت هذه المرة الأخيرة التي أرّها فيها والدتي قبل اختفائها إلى أن بدائنا القول أنها قد ماتت. .كان عاماً صعباً علي ولكن كان عليّ الاستمرار فقط. .فالأيام القادمة قد تحمل الكثير وتغير الجميع.

لقد مرت قرابة الخمس أو الست أعوام لم نفقد الأمل مازال الجميع ينتظر ظهوره. .ننتظر ولادة بطلنا علي أحر من الجمر. .أفكر كل يوم دون توقف داخل نفسي قائلاً في حيرة:

-الصراع. ."غرفة الكلمة". .أبي ونبوءة وإعدامه. .بلاد "مجيدو". .الحكيم "سليمان". .اللفافة. .والدتي. .،لغة "باربوسة" والجدار. .الملك "بوأب". .ارض الفرصة. .خطتي..،كل هذا. .كل يوم لا استطيع التوقف. .الوقت الوحيد الذي اشعر فيه بالراحة هو الذاهب إلى الشاطئ.

وكعادة نهاية كل يوم من العمل والاجتماعات السرية اذهب إلى شاطئ "بحر الذهب". .ولكن هذه المرة كانت مختلفة. .رأيتُ شيئاً غريباً لا استطيع تفسيره إلا بشيء واحد فقط وهو أن الانتظار انتهي ووصل فتي النبوءة أخيرا في العام العشرين من وآفته "علام"

***

بعد مرور ثلاثة أعوام وربع تقريباً:

اليوم، هو يوم أعادة الشمل. .سنجتمع عند "سمير" لقد انتهي من تجهيز الـ"الغواصة" في عامان فقط وانتهينا من جامعتنا نحن كذالك. .أصبحنا مستعدين للرحلة، كل من "خلود" و"سمير". .،"مراد" مستعدون للموت

فنحن لا نعلم ما قد يحدث وهذا ما أخبرتهم به. .عليهم أن يكونوا علي استعداد للموت في أي لحظة من لحظة أبحارنا أسفل الماء في رحلة تستغرق أسبوع علي حسب معاد فتح البوابة. .وكان الاتفاق أيضاً عبر مكالمتنا القصيرة أن نجتمع بعد ثلاثة أعوام واقل من ربع السنة لنتحرك وأخبرتهم أن ممنوع أن نقابل بعضنا البعض حتى هذا المعاد، إلا حالة استثنائية عندما ذهبت مع "خلود" لنحول المبلغ المالي الضخم الذي من الأفضل عدم ذكره.

أخبرتُ "مراد" انه سيتولى حماية "سمير" هذا شرطنا إذا أراد الذهاب ووافق علي هذا لأني أخبرته أن حالة "سمير" لا تسمع له بحماية نفسه وانه سيحتاجك هناك لمدة لان أولوياته ستكون دراسة هذا العالم الأخر أو الموازي إلى أن نعلم هويته. .إما "خلود" اشترطتُ عليها أن لا تفارقني أبداً لأني المسئول عنها هناك بالطبع ولا أريد أن تصاب بمكروه حتى أجد أبي وأمي ونرحل. .إذا وجدناهم من الأساس.

ذهبتُ مع جدي إلى مشفي لأنه في هذا الوقت مريض. .مريض بشدة، أصبحت علاقتنا. .علاقة صداقة بعدما كانت في حالة من البغض والكراهية من ناحيتي أما هو فكان دائماً يحبني.

هذا العجوز الخرف احد اعز ناس لي متساوياً مع عمتي "كلثوم" التي لم أتوقع أن أحب أحداً من بعدها بهذا القدر. .عمتي ربما أخفيتي الكثير عني ولكن لا اهتم فأنتي الأفضل ولا اقدر علي نسيانك أبداً.

في طريقنا إلى مشفي بعدما اتفقتُ معه أن اتركه هناك إلى أن ارجع وهو بالطبع يعرف أن اليوم هو يوم ذاهبِ في رحلتي. .كان غاضباً من هذا الفعل ولكن هذا هو الخيار الوحيد لنا، المشفي هو امن مكان له الآن. .نظرت له في طريقنا وهو جالس علي كرسيه المتحرك وأنا خلفه أحركه. .قائلاً بغيظ له محاولاً أن اخفف عنه:

-لقد اقتربنا، جدي.

فصمت للحظات وبعدها رفع يده طالبا أن أوقف الكرسي. .فوقفت مسرعاً وقبل أن أسائله عن ما الخطب وجدته يقوم وهو بالكاد يستطيع الوقف، قائلا:

-تغير في الخطة. .سوف أوصلك إلى محطة القطار.

فنظرتُ له وهو في هذه الحالة الصعبة وأخبرته برفضي لهذا الأمر. .وكانت ردة فعله غريبة وهو أن يتحرك وحدة دون قول أي كلمة. .وقتها عرفت أن لا قوة تستطيع إيقافه وان كل ما علي فعله الآن هو أتباعه في صمت.

مرت نصف ساعة حتى وصلنا.. أجرُ الكرسي المتحرك وأمامي جدي الذي لا اعلم كيف يستطيع المشي بحالته هذه. .وقفنا عند محطة القطار وأشار إلى حتى اقترب منه واتبعه وهو يقول لي بنعومة:

-امشي علي الجانب الأخر من سكة القطار ولا تقترب منه حتى يقف تماماً.

فنظرتُ إلى وجه وكأنها أول مرة. .هذا الوجه البسيط الذي عفي عنه الزمن. .الشعر الأبيض الذي بالكاد يظهر من شدة ضعفه، هذا الشعر

الناعم..هذه العيون السوداء الخلابة التي تظهر الكثير من الناس والكثير من الذكريات علي سطحها. .ساقه الضعيفة وجسده النحيل الذي بالكاد يظهر. .الآن استطيع القول أن جدي قد مرة بالكثير. .قد ماتت زوجته وماتت ابنته وذهب ابنه دون عودة إلى الآن. .ولا علم أذا كان سيرجع أم لا، وها هو الآن علي وشك أن يودع حفيدة الوحيد ولا يعلم أذا كان سيراها مرة أخري. .قولت داخل نفسي وان انظر إلى وجه بنبرة حزن وأسي:

-"كم كنتُ قاسياً عليك. .سامحني "

وقبل وان أكمل داخل نفسي قاطعني بحضنه الدافئ وهو يبكي قائلاً:

-هنا في هذا المكان ودعتُ أباك وها أنا ألان أودعك، شحتو..

وصمت بسبب بكائه وهو لا يستطيع أن يكمل لبضع اللحظات قبل أن يكمل:

-فقط ارجع أنت وأباك وأمك وأصدقائك دون أن ينقص فرداً واحداً منكم. .أريد أن أرّ وجه ابني وزوجته قبل أن أموت وبالطبع أنت معهم. .

وصمت جدي مرة أخري وأنا في حالة لا توصف من الحزن. .يكمل ضاحكاً وهو يحاول أن يخفف عن نفسه قليلا بنبرة ساخرة:

-حاو...حاول أن ترجع دون طفلك فأنا اكتفيت منكم.

وصمت وأكمل مرة أخري:

-عندما تعود سوف أخبرك عن كيف أنقذ تامر،كلثوم عندما كانوا صغار. وركبت القطار وأنا لا استطيع التوقف عن البكاء. .

***

في وقت لاحق بعدما نجح شحتة ورفاقه للوصول:

علي احد الشواطئ التي تطل علي احد المحيطات الصفراء.. وكأنها تتكون من الذهب بسبب شدّة اللون، محيط لا نهاية لهُ، ينظر كل من شحتة. .سمير. .مراد. .خلود إلى هذا المحيط العجيب وجانبهم الغواصة التي أتلفت من خلفهم وحتى انه يظهر أمامنا بعض الأشياء التي تطفو علي وجه المحيط هذا.

يلتفت مراد إلى الخلف صارخاً وكأنه قد شاهد الإله بنفسه خلفه. .نظر الجميع أيضاً. .صارخين من هذا المشهد البديع. .صعب الاستيعاب. .حتى أنهم لم يلاحظوا أن هنالك أحداً يشاهدهم من جانبهم الأخر.

النهاية

إلي اللقاء مع الجزء الثاني بعنوان

بحر الذهب | حرب الرقيق

أندرو أنور

12\9\2022

استودعتكم الله.